لا بدّ من زوجة أخرى

د. محمد سعيد التركي

الكتاب : لا بدّ من زوجة أخرى

المؤلف : د. محمد سعيد التركي

الطبعة الثانية : القاهرة ٢٠١٦

رقم الإيداع : ٥٣٧٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : I.S.B.N : 978 - 977 - 493 - 247 - 2

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٩٥٥٩ ش طارق أبو النور. الهضبة الوسطى. المقطم. القاهرة

ت فاكس: ٢٧٢٢٣٨٠٠٤ (٠٢) ، ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net



لا بدّ من زوجة أخرى



د. محمد سعيد التركي

إهـداء

أهدي هذا الكتاب...

إلى كل امرأة تعاني من مشكلات تعدد الزوجات، ولم تعلم سبب زواج زوجها بغيرها...

وإلى كل رجل يعزم؛ أو قد سبق وقام؛ بالتعدد...

و إلى كل رجل يحب التنقل بين النساء...

وإلى جميع القُرَّاء الذين لم يجدوا تفسيرًا لميل الرجل إلى التعدد

مقدمة الكتاب

هل يقوم تعدد الزوجات بعرقلة النهضة في المجتمعات؟... أم هو مادة ضرورية للنهضة؟

ما الفرق بين تعدد النساء، وتعدد الزوجات؟ أيهما أصدق؟... أيهما أصلح للمجتمعات؟

هل تعدد النساء مقتصر على المجتمعات العربية والإسلامية، أم هو شائع حتى في المجتمعات غير العربية وغير الإسلامية؟

ما هو رأي النساء المسلمات والعربيات في التعدد؟ وكذلك ما هو رأي النساء غير العربيات وغير المسلمات في التعدد؟

ما هو رأي الرجال في تعدد النساء؟ عربًا كانوا أم عجمًا؟ مسلمين أم غير مسلمين؟

ما هي الدوافع التي تدفع الرجل إلى التعدد؟ هل هو الطيش، أم هو الترف، أم العادات والتقاليد؟ أم هو نقص أعداد الرجال، وارتفاع أعداد النساء؟

لماذا لا تقوم المرأة بالتعدد؟

هل تذهب المرأة ضحية تعدد النساء؟

هل الزوجة الأولى هي سيدة الموقف؟ أو أنها هي المسبب لبحث الزوج عن زوجة أخرى؟

هل الزوجة الثانية متعدية على حق الزوجة الأولى، وظالمة لها بقبولها التزوج بزوجها؟

هل تصطاد الزوجة الثانية في الماء العكر، وتحاول أن تكسب الرجل إلى جانبها، بعيدًا عن زوجته الأولى وأبنائه؟

من هم هؤلاء الرجال الذين يقومون بالتعدد؟ مقارنة بأمثالهم من الرجال الذين لا يقومون به؟

هل يعلم الرجل لماذا يقوم بالتعدد؟

هل تعدد الزوجات من الترف والتنعم، والتقلب بين أحضان النساء؟ أم هو مسؤولية ومشقة إضافية يتحملها الرجل، فوق مشاغله ومسؤولياته؟

هل المشكلة السائدة عند الشباب تكمن في التعدد؟ أم المشكلة تكمن عندهم في عدم القدرة على الزواج؟

لقد كانت، وما زالت، ولن تزال كل هذه الأسئلة عن موضوع تعدد النساء وتعدد الزوجات، موضعَ جدلٍ واسعٍ وعريض في جميع أنحاء العالم، فمنهم من أجاب عليها أو على بعضها، ومنهم من لم يجب، ومنهم من يقضِ عمره وهو يجادل في إجابات هذه التساؤلات. ولكن عند الشباب، وبالذات في العالم العربي والإسلامي، لا تجد أسئلة كهذه لإجابتها أهمية عندهم، فهم يشغلهم الإعداد للقيام بفعل الزواج، فضلاً عن الانشغال بالتفكير في التعدد.

ولذا فسيقدم الكتاب فصولاً، تتحدث عن كل هذه الأمور من جوانب عدة، ليس من وجهة نظر العرب والمسلمين فحسب، بل ومن وجهة نظر العجم وغير المسلمين كذلك، ويقدم رؤية هؤلاء كلهم، لموضوع التعدد.

وكذا الحديث عن موقف الجميع من أمر تعدد النساء أو تعدد الزوجات، وردة فعلهم وتصرفهم تجاهه، وكيف يتعامل كل فريق معه.

وسيعطي الكتاب فكرة عن الأفكار التي تحاول التأثير على تفكير الناس بهذا الخصوص، والإعلام الذي يحاول أن يشكّل عقولهم، والأنظمة التي تعمل على صبغ عقولهم وحياتهم بصبغة معينة، وخاصة عند العرب والمسلمين منهم.

ثم ينتقل الكتاب ليتحدث بشكل مجرد، عن الدوافع التي تدفع الرجل للتعدد غالباً، وبشكل مفصل، من منطلق دراسة نظرية علمية، ومشاهدة عملية.

وينتقل إلى طرح الأفكار بكيفية تمس مشاعر المرأة والرجل على حد سواء، وتناقش قناعاتهم وأفكارهم فيما يتعلق بتعدد النساء، أو تعدد الزوجات.

ثم تنتقل الفصول، لتناقش الكيفية التي يجب أن يتعامل بها كلا الطرفين مع هذه المسألة، التي تحولت لتكون بعمق جدلية في مجتمعات كثيرة غربية وشرقية.

مقدمة الكاتب

لقد أصبح من الضروري طرح هذا الموضوع في إطار أدبي لطيف، بعيدًا عن توجيه الأوامر، وتقرير المواقف، والأمر به، فمسألة التعدد لها شجون نفسية واجتماعية، وكذلك عاطفية، وليست هي قوانين جافة ومجردة، ورأيت لذلك أن أطرح هذا الموضوع الحساس بكيفية يستطيع القارئ أن يشارك ويدلي فيها برأيه، ويقول عما يجول في خاطره، وخاصة من الجانب النسائي.

وأرى أني لكتابة هذا الكتاب كنت مضطراً، وذلك لأني لم أجد كتاباً يحقق حاجة القارئ؛ وبالذات القارئة؛ في إجابة تساؤلاتهم عن أمر التعدد، وما يتعلق به من حقائق وملابسات في الحقوق... ومن جهة أخرى أني وجدت هذا الأمر قد أصبح واسع الجدال والنقاش، وملحًا الحديث عنه في كثير من الأوقات والأحيان، وبقوة في الأوساط النسائية، ولذلك حاولت أن أجد الحلقات الضائعة في نقاش هذا الأمر، وقمت بنظمها مع باقي الحلقات المعلومة لدى المهتمين.

ولو لاحظنا فإننا قد لا نجد إلا فريقين في تناول هذه المسألة: فريق يطرحه مُسلّمًا بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، ويذكر محاسنه، ويذكر وجوب إتباعه، والتسليم بأمره، دون حاجة لأن يدرك القائمون به حكمته الربانية... وفريق آخر يحاول أن يذكر محاسن التعدد وفوائده لإقناع القارئ أو القارئة به، وصلاحه للمجتمعات.

وهناك فريق آخر مخالف لهذين الفريقين، جُلّهم من النساء، يناقشه من منطلق علماني بموقف الرافض له، وأنه تشريع لم يعد له صلاحية في هذا الزمان، وأنه ظلم للمرأة، وأنه تشريع غير نافع، استنادًا إلى كثير من الحُجج والبراهين من الواقع.

فعمدتُ إلى كتابة هذا الكتاب من منطلق جدلي بعيد عن رأي خاصٍ بي، حيث تركت الرأي فيه للنساء من المجتمعات العربية، وكذلك للنساء من المجتمعات الغربية، ونقلت آراءهن كما كانت وما زالت من مجالسهن، وتركت الرأي فيه كذلك للرجال منهم العرب والغربيين، ونقلته كما هو بكل صراحة، وبعيد عن الغموض أو إخفاء شيء منه، ونقلت كل ما يتعلق بهذا الأمر من بعض القصص الواقعية والمسلية أحيانًا.

ثم عمدتُ إلى طرح أفكار أخرى للجدال، في أبواب مختلفة، وطرحتُ ما يتعلق بها من أحاديث وشجون.

ولقد ختمت الكتاب برأيي الخاص فيما يتعلق بالتعدد، فإن كنت قد أحسنت فهو من الله، وإن كنت أسأت فهو مني.

--- وبالله التوفيق ---

فهرس الكتاب

تعدد الزوجـات

من وجهة نظر النساء والرجال

موقف النساء العربيات من التعدد

▪ **مجموعة من النساء في مدينة جدة:**

اجتمع مجموعة من النساء في مدينة جدة، في إحدى أمسياتهن الدورية، اللاتي كُنَّ يناقشنَّ فيها في كل مرة أمرًا اجتماعيًا أو ثقافيًا أو غيره، إلا أن في هذه المرة، حظيت أمسيتهن بالحديث عن موضوع مثير ومخيف لهن في آن واحد، وهو موضوع تعدد الزوجات، وقد كان الحديث في هذا الأمر محرجًا إلى حد ما، سببه، أن من بين الحاضرات من كُنَّ قد أقدم أزواجهن على الزواج، وكنَّ قد وجدن أنفسهن في وضع حرج أمام صديقاتهن، كون أن هؤلاء الزوجات أصبحن يشعرن أنهن بزواج أزواجهن بغيرهن، قد وُضعن في قفص الإتهام، بأنهن غير أكفاء أو ناقصات، مما دعى أزواجهن لأن ينصرفوا للزواج بغيرهن.

وكون أن هؤلاء النسوة ينتمين إلى مجتمع نسائي من الطبقة المرفهة، أو كما تُسمى المخملية، التي يفترض أن تتراجع فيها أفكار تعدد الزوجات، وتتقدم فيها الأفكار الحديثة لصورة الزوجين، كما في الأفلام الأمريكية والدعايات التجارية، وأفلام الفيديوكليب، والخيال الرومانسي. على الرغم من ذلك، أقدم هؤلاء على نقاش هذا الأمر، بتلطف شديد وعناية، للمحافظة على مشاعر صديقاتهن من الزوجات المعنيات بهذا الأمر، إلا أن

نقاشهن قوبل برحابة صدر واسعة من صديقاهن، فبدأ نقاش ممتع، وفي غاية الصراحة.

بدأت إحدى الحاضرات الحديث، ممن تزوج زوجها بغيرها، قائلة:

- عندما أقدم زوجي على الزواج، أصبت بصدمة نفسية، أفقدتني كل ما أملك من الآمال والأحلام، وأدخلتني في متاهة من الضياع والإحباط وفقدان الثقة بنفسي، وتسببَت كذلك في أن أفقدتني قيمة كل الأشياء التي أمتلكها، وشعرت أني بالتالي فقدت حياتي الزوجية، وزوجي الحبيب، وشعرت بضياع أبنائي، وشعرت أن القيامة حان موعدها.
وقمت فيما قمت به، كردة فعل لهذا الحدث المخيف، بالصياح والنياح وطلب الطلاق فورًا، ووضعت زوجي تحت التهديد بترك البيت، إن لم يقم فورًا بتطليق زوجته الجديدة.

وأكملتْ حديثها قائلة:

- لا أستطيع ن أقول إلا أن زوجي رجل طيب، ولم أرَ منه في حياتي سوءًا قط، حتى عندما فعلتُ ما فعلتُه من الصياح والتهديد، كان زوجي حكيمًا، ولم يستجب لإنفعالاتي، وقد حاول إفهامي أن هذا قراره، وحقه الشرعي، وما إلى ذلك من حجج، وحاول إفهامهي قاسمًا بالله لي أنه يحبني، وأنه لم يتزوج بغيري لنقص أو عيب بي، لكنه تزوج لدوافع أخرى خاصة به... ولكني في نهاية المطاف لم أقتنع بأسباب زواجه الجديد هذا.

ثم تصبرت لهذا الحدث فيما بعد وتريثت، وحاولت التعقل، وقمت باستشارة محبيَّ من أهلي وغيرهم فيما عليّ فعله تجاه زوجي الذي ظلمني، ولكني لم أجد من أحد منهم إلا أهازيج من النصائح بالصبر والتصبر، وأن هذا هو حق الرجل الشرعي، وأن ليس لي إلا القبول، فأنا لست صغيرة، كما يقولون، وحتى ولوكنت صغيرة فكيف أفعل بأبنائي إن تركت البيت واخترت الطلاق... وفي الحقيقة وجدت كل أحاديثهم ونصائحهم كأنها مواساة في فقيد، فقبلتها على مضض، وحاولت أن أتعامل معها، فقد يرى الناس ما لا أراه.

ثم شعرت أن كل هذه النصائح، وإن اتبعتها فلن تزيل عني أحلامي وذكرياتي الجميلة التي قضيتها مع زوجي، وعلاقة الحب معه، التي لا يعلم الناصحون عنها شيئًا، ورأيت أن هذه النصائح لن تعيد لي حب زوجي لي، وعشرته الجميلة معي كما كانت، فأنا أرى أني الآن حقًا فقدتها، ورأيت أن لا عودة إلى هذه العشرة بعد هذا الذي كان منه، وأن إتباع النصائح لن يزيل عني الخوف من المستقبل، ولن يزيل عني فقدان ثقتي بنفسي.

على أي حال مضى على هذا الحدث شهورًا، وأنا لا أراه إلا يومًا بعد يوم، وهو دائمًا في أجمل مظهر وأبهى حلة، و"آخر شياكة"، بخلاف ما تعودت عليه منه سابقًا، وقد كنت أترقب خائفة المتغيرات في حياتي واهتمام زوجي بي، وأترقب تغيّر حبه لي، وصرف نظره عني، إلا أن هذا كله لغرابة الأمر لم يحدث... وبالرغم من أن الترقب والخوف كان

هاجسي الدائم، وكان يوهمني الخوف أحيانًا بالتغيّر، فقد أخذت بالتعود على هذا الحال، وأخذت أقبل به، ولا أعلم هل كانت الأيام هي التي داوت الجروح عندي، أم أن الخوف هو الذي كان مبالغًا فيه لدرجة الرعب، أم سببه أن زوجي بحسن تصرفه وحسن أدبه، ولطف تعامله معي، وتفهمه لنفسيتي، هو الذي جعل الأمر طبيعيًا جدًا؟!

على جميع الأحوال فأنا في الحقيقة لم أجد فرقًا عن سابق حياتي معه، غير الغيرة التي تعتمر قلبي أحيانًا، والشعور بالرغبة الملحة في اجتذاب زوجي ولفت نظره إليَّ، وأقولها بكل صراحة، فقد أخذت أراجع حساباتي، في تحسين مظهري وقوامي، بكافة أنواع الزينة ووسائل التجمل، علِّي أصرف نظره عن زوجته الثانية، وخوفًا من أني كنت أصلاً المقصرة في حقه فيما يتعلق بهذا الأمر يومًا ما، ما دفعه للزواج بغيري.

لكني الآن ما زالت في قلق دائم، بسبب خوفي من شماتة النساء الأخريات بي، وخوفي من نظراتهن اللاذعة لي، وقد حاول صديقات كثيرات لي إقناعي، بأن ما أحسه من شماتة غيري بي غير صحيح، ولكني إلى الآن لم أستطع الاقتناع بصحة كلامهم وصدقه، بالرغم من تأكيداتهن.

ثم أنهت حديثها قائلة:

– بقي أمر واحد أخير ما زال يحيرني، ولم أستطع ولم يستطع زوجي الإجابة عليه وهو : ما هو الدافع الذي دفع زوجي للزواج بغيري؟

وبعد أن أخذ الحديث حلاوته في الاجتماع النسوي، اشتركت سيدة أخرى تحكي عن تجربتها، التي كانت أكثر شدة وأعظم قسوة فقالت:

- كنتُ أحب زوجي حُبًا شديدًا وما زلت، بل إني أعشقه، وقد قضيت معه أجمل أيام حياتي، ولكن أنانيته دفعته بعد كل الأيام الحلوة التي قضيناها سويًا، إلى أن يتزوج بأخرى، أقل جمالاً وبهاءً مني، فأنا سيدة لا ينقصني من الجمال والكمال وحسن تدبير المنْزل والطبخ شيئًا، بل إني امرأة عصامية شاركت زوجي أقسى وأحلك ظروف الحياة والأيام... وبالرغم من كل هذا الإحسان الذي قدمته له لم يثمر فيه إحساني، فقام بطعني في ظهري بهذا الزواج، لذا فإني أعتبره خائنًا، وغير وفيٍّ، وناكرًا للمعروف.

ثم أضافت قائلة:

- ولكني لن أقبل بهذا الأمر مطلقًا، ولن أرتضيه يومًا، حتى بعد هذه السنين التي قضيتها في هذا الحال، لا زلت أرجو وأصرّ على طلاق الزوجة الجديدة، حتى أنفرد أنا به، وأبقى زوجته الوحيدة.

أما فيما يتعلق بخُلُقه وأدبه وقيامه بواجباته تجاهي، فإني لا أستطيع أن أذكر سوءًا به مطلقًا، غير أنه خانني، وخان عشرته معي.

وأقولها بكل صراحة، إني ما زالت أقوم بالتنكيد والضغط عليه أحيانًا، وأحس بشعور الانتقام لنفسي منه ومن زوجته الجديدة، وما زلت أشعر بالقهر والظلم. بل أرى أني ما زالت نادمة للصبر حتى الآن على مصابي، ولو علمت لما صبرت.

ثم اعترضت الأحاديث إحدى الحاضرات الجميلات التي تجازوت الثلاثين من العمر قائلة:

- ربما ستعجبون من حديثي، وأقولها بكل صراحة إني من بيئة ترفض التعدد من أصله ولا تقبله، وقد كنت كذلك أؤمن برفض تعدد الزوجات، وقد تقدم لخطبتي الكثيرون من العزاب، ولم أقبل بأحد منهم، وفي نهاية المطاف تعرفت من خلال عملي على أحد الرجال المتزوجين، أخذ لُبَّ عقلي بشخصيته الرائعة ورجولته وهيأته، ثم تقدم لخطبتي، ولم أتتردد برهة واحدة في قبوله زوجًا، ووجدت أن قضية الزواج لا يحكمها كون الرجل متزوجًا أو عازبًا، وإنما يحكمها كون الرجل هو فارس الأحلام أم لا.

ثم أخذ نقاش هؤلاء السيدات عن التعدد يتسع، وحصل هرج ومرج وارتفاع للأصوات، ثم أخذ الجدال في نهاية المطاف يجمع أطرافه، وبدأن يخرجن بفوائد مستخلصة من هذه القصص وهذا الجدال، كان أبرزها أن تعدد الزوجات بلا محالة أمر مؤلم للمرأة، ومجهد لنفسيتها، ويقض مضجعها، ويثير مخاوفها.

ولكن بعيدًا عن أعين الرجال وأسماعهم، وبهمس لطيف أقررنَّ أن حججهن في الخوف يعتريها الضعف، فهن يرجعن سبب الألم النفسي إلى الخوف من شماتة الناس، أو يرجعنه إلى الخوف من ضياع حياتهن الزوجية، وهذا غير صحيح، لأن مجرد الخوف، ليس حجة كافية لرفض تعدد

الزوجات على الإطلاق أو قبوله، فوقوع الشماتة، أو ضياع الحياة الزوجية، ليس حدثًا لازمًا، بناءً على المُشاهد المحسوس من الواقع.

ولكنهن عدن فوجدن أن حججهن قوية لرفض تعدد الزوجات على الإطلاق، فالغيرة أمر غير مقدور على تجاوزه، وأن الزوج كونه جسم وقلب يستحيل أن يشترك فيه أكثر من أمرأة، وسيصبح حتمًا مائلاً إلى إحداهن، ويكون حينها غير صادق في أحاسيسه، وهذا أمر تخاف منه المرأة كثيرًا، غير أن إمكانية نقص الموارد المالية شيء يُتخوف منه أيضًا.

أما بعض المشاركات في اللقاء آثرن الحياد، وكنّ ممن ليس لهن كما يقال "طبائن" أو "ضرائر" وعلى رغم ذلك يجدنَّ أن لا بأس من أن يكون للرجل زوجة ثانية أو أكثر، اللهم أنهن لا يتمنينه لخاصة أنفسهن، أو لبناتهن.

أما بعض المشاركات اللواتي كن الزوجات ذوات الرقم اثنين أو ثلاثة أو أربعة، ولم يكنّ الأوائل أصلاً، فقد لزمنَّ الجانب الهادئ وأحيانًا الصمت، فهؤلاء لا يجدن في هذا الأمر سوءًا على الإطلاق، ولذلك فهن لم يمتنعن أصلاً أن يتزوجن رجالاً متزوجين، ولقد كان صمتهن في هذا الجدال حسنًا، أمام عاصفة الغضب من الجانب الرافض.

ثم خلص الكثير منهن إلى الرضى والموافقة على تعدد الزوجات، ولكن بشرط لمن لهن دوافع خاصة بهن، كالنساء اللواتي لا يجدن بدًا من هذا الأمر، لأسباب كانت اقتصادية، كرغبتهن بالزواج بالأثرياء، أو غيرهن

ممن يقبلن بالزواج برجال متزوجين وذلك لتخفيف الضغط عن كواهل عوائلهن الفقراء.

أو إذا كان للموافقة والرضى شجون اجتماعية، كفوات قطار الزواج على بعضهن، أو أن بعضهن لم يعدن يطقن العيش في مظلة الأبوين، أو كن من المطلقات اللواتي قلما يجدن من يرغب الزواج بهن من الشباب العزاب، أو بعضهن ممن لم يجدن من يتقدم إليهن من الشباب العزاب الأكفاء، ربما لقصور أوضاع العزاب الاقتصادية.

أو غيرهن ممن رضين بتعدد الزوجات، لأسباب نفسية أو عضوية لم يطقن من خلالها الصبر على تأخر زواجهن. أو غيرهن ممن يؤمنّ بالستر في ظل أيّ رجل كان، من منطلق المثل القائل: "ظل رجل ولا ظل حائط".

ومن ثم انفض مجلسهن بقنبلة، فجرتها إحدى المشاركات، حين صرحت بقبول أن يكون لزوجها قفزات جنسية على مستوى الخليلة، خيرًا لها من أن يتزوج بزوجة أخرى، على حد قولها.

وحيث أني هنا قد نقلت صورة عن فئة اجتماعية معينة من النساء في مدينة جدة خاصة، وفي الحجاز عامة، فهناك فئات اجتماعية أخرى تقابلها، ولكن بالتأكيد تخالفها نظرتها ورأيها في التعدد، فتجد عندها درجة القبول بتعدد الزوجات أكثر من هؤلاء، إلى درجة الرضى بالسكنى مع الزوجة الثانية والثالثة تحت سقف واحد، وفي شقة سكنية واحدة.

▪ مجموعة من النساء من عدة دول مختلفة:

وأما في الطرف الآخر من دول الخليج، اجتمع نسوة من عدة دول مختلفة، شاركهن نساء من دول مختلفة غير خليجية، وقد كان لقاؤهن هذا أكثر إثارة من اجتماع نساء جدة، السبب في ذلك أن الموضوع تناولته إحداهن بطريقة مثيرة ومستفزة للمشاعر أكثر، وقد كان هذا اللقاء مخصصًا لموضوع التعدد بالتحديد، ويكشف خفايا ومعاناة، لا يعلمها إلا النساء فيما بينهنَّ:

فقالت السيدة سعاد، مديرة اللقاء، بعد الترحيب بالحاضرات وذكر مقدمة للحديث:

- أيتها الأخوات الحاضرات، أريد أن أنقل لكم قصة إحدى قريباتي التي لم تتوفق في زواجها الأول، وهي الآن في بيت أهلها، وقد تقدم لها بعد طلاقها رجال كثيرون يخطبونها، إلا أنها امتنعت عن القبول بأحدهم، كون هؤلاء كلهم كانوا متزوجين، إلا عددًا قليلاً منهم، كانوا غير متزوجين، ولكن الأخيرين هؤلاء لم يكن بينهم أحد يوافق هواها، حتى تقدم لها في آخر المطاف رجل متزوج، قد وجدت فيه كل الصفات التي تحبها في الرجل، إلا صفة واحدة قدرت أنها تُعيبه، وهي كونه رجل متزوج...

المطلوب من الحاضرات الشجاعة أولاً، ثم المشاركة والحديث بكل صراحة، لنصل بهذا المجلس إلى قناعة فيما يخص التعدد، والمطلوب كذلك أن يشاركنا بالذات الأخوات المتزوجات برجل متزوج، كزوجة أولى، أو يكنّ في الترتيب زوجة ثانية، أو أكثر.

فلدينا هنا تساؤلات كثيرة، في حاجة إلى إجابة مثل: هل تعاني المرأة كزوجة ثانية من ارتباطها برجل متزوج؟ هل زواج الزوج من زوجة ثانية، فيه ظلم للزوجة الأولى؟ وبم نستطيع أن نفيد قريبتي في هذا الأمر، لتتخذ قرارًا نهائيًا فيه، هل ننصحها بالإقدام، أو نناشدها الإحجام؟

– وكأن السيدة سعاد أشعلت نارًا في موضع لم تكن ترسم له، فكن غير المتزوجات بزوج متعدد الزوجات أكثرهن استفزازًا.

فقالت مها: ومن تجرؤ أن تكشف عن سرها، وتقول أنا زوجة ثانية؟ ألا تعلمين نظرة المجتمع الظالمة لها؟

فقالت هدى: والله اعذروني إن قلت لكم، أني أجد الزوجة الثانية متعدية على حق غيرها، وتقوم بالتخريب على الزوجة الأولى، وهي بزواجها به تفتح جرحًا لا يندمل، ثم تحاول فيما بعد تنسيه زوجته وأبناءه.

قالت جمرة: "إن الضرة مُرة "، أرجو أن لا أكون يومًا زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة، لأني أعرف كثيرًا من الزوجات الأوليات، تم تهميشهن بسبب الثانية، ويعيشون الآن أصناف القهر والعذاب النفسي والظلم، وأرى أنّ

على المرأة أنْ تفكِّر ألف ألف ألف مرة، قبل القبول بالزواج من رجل متزوج، أو تشترط عليه موافقة زوجته الأولى، اتقاء للمشاكل، ويجب عليها أن لا تصدق أعذار الرجل وإدعاءاته، حتى تقبل به زوجًا. وأرى أن خيرًا للمرأة أن تترك ذلك بتاتًا، وتتقي المشاكل، فلا تتزوج إلا بزوج غير متزوج.

قالت لولوة: أنا لست زوجة ثانية، ولكني أعجب مما تقوله الأخوات، فأنا لا أجد أن الزواج بزوجة ثانية فيه ظلم للأولى، وإن حصل الظلم فالمتسبب الوحيد فيه هو الزوج، لأن الزوج يستطيع أن يسيطر على الأمور بكيفية لا يحصل من خلالها الظلم، وأنا لا أوافق الأخت مها، فليست الزوجة الثانية عار، حتى تخفي نفسها، وليست هي بأقل من الزوجة الأولى، فيجب أن نكون منصفين، وعندنا إحساس بالغيرة على نساء المسلمين، خاصة أن زمننا هذا كثرت فيه الفتن.

شاركت فادية من فورها وقالت: أنا لا أرى أن المرأة تقوم بجريمة، أو سلب حقوق الغير، عندما تقدم على الزواج بزوج متزوج، إن هذا يا أخوات شرع، ولا يجوز أن نقف ضده، وإني أعرف نساء يتمنون أن يقوم أزواجهن بالزواج بغيرهن، مع شرط العدل، وأعرف نساء أخريات يعيشن حياة طبيعية في ظل التعدد، ولا يشتكين من أي شيء، فالمسألة ليس فيها عيب ولا حرام، حتى ولو عانت الزوجة الأولى شيئًا ما.

عادت السيدة سعاد للحديث فقالت: أنا أؤيد الأختين فادية ولولوة على

رأيهما، ولا أوافق الأخوات الأخريات على رأيهن، فمجرد الزواج بأخرى ليس ظلمًا، أو تعدٍّ على حق الغير، وقدوتنا سيد البشر أجمعين عليه أفضل الصلاة والتسليم، فهل من العدل أن يُحرم النساء ذوات الظروف الخاصة من الزواج برجل متزوج يرضون دينه وخلقه، ونحكم عليهن بالإعدام والموت قهرًا، ونحرمهن من أن يصبحن أمهات وأن يعشن حياة طبيعية؟

أما أنا والله لا أتمنى أن أكون زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة، لمجرد عبث زوج يخون العهد، فأرجو أن يكون في زماننا هذا رجال عادلون يخافون الله.

أرجو أن أكون بموضوعي هذا أشعلت فتيل حب، لا فتيل حرب.

هنا تجرأت حبيبة بالحديث وقالت: الحمد لله أنا زوجة ثانية، تزوجت وكان عمري اثنتين وعشرين سنة من رجل لديه زوجة وولد، ووافقت الزواج به بكامل إرادتي معارضة كل من كانوا حولي، في الحقيقة لم أكن أعلم ما هو الدافع القوي الذي دفعني، إلا أني الآن سعيدة، لا أرى أبناءه السابقين إلا كأنهم أبنائي، وزوجته الأولى كأختي تمامًا، وإني أحمد الله على ذلك.

قالت عالية: أنا لا أرى أن هناك شُحًّا في أعداد الرجال، فأكون مضطرة للزواج برجل عنده زوجة أخرى، أرى لو أني قبلت بالزواج برجل لديه زوجة أخرى، أكون قد عملت على هدم بيت وسعادة أطفال، من أجل سعادتي.

قالت مريم: إني أعرف نساء عابدات مصليات، ولكن تقف عقولهن عند حد الزواج برجل له زوجة أخرى، فيقلن "مائة خليلة ولا واحدة حليلة"،

وأرى أنه من المناسب في لقائنا هذا أن أردَّ عليهن، وأن أدعوهن لأن يحكّمن حكم الله في أهوائهن.. على أي حال أنا أرى أن الرجل لا يتزوج بأخرى، إلا إذا كان هناك نقص عند زوجته، أو خلل في حياته الزوجية.

قالت بحور: سأقول رأيي بكل صراحة، ما رأيكن في العانسات إذن، وأنا إحداهن، هل تحكمن عليّ وعليهن بالعنوسة إلى الأبد، وهل يبقين النساء عانسات أخيرَ لهن من أن يتزوجن برجال متزوجين؟ أنا كنت دائمًا ضد الزواج برجل متزوج، لكن يظهر لي أني في آخر المطاف سأتزوج بأيٍ كان وكفى، ولو تعلمون أن هناك بيوت كثيرة، فيها بنات كثيرات، يتمنعن عن الزواج ويتشرطن، ولا أرى إلا أن أكثرهن أصبحت العنوسة مصيرهن.

ثم توالت النقاشات وتعددت، وكل واحدة قامت ترد على الأخرى، وتدافع عن رأيها، حتى قامت فكرة القبول بالتعدد تأخذ غلبة على غيرها من الآراء الرافضة للزواج برجل متزوج، وأخذت فكرة القبول والرضى بأن يتزوج أزواجهن زوجات أخرى غيرهن استحسانًا، فأخذ النقاش يأخذ تحولاً طفيفًا.

فقالت إحداهن: ليست المشكلة في التعدد، بل المشكلة في الزوج الذي غالبًا ما يظلم زوجته الأولى، بعد أن يتزوج بأخرى، وخاصة إن كانت الزوجة الجديدة تصغر عن الأولى بسنين كثيرة، فتأخذ لُبَّ الزوج وتطيّر عقله بها، فيهجر زوجته الأولى مدة طويلة عندما يتزوج بهذه الأخرى، ولا يفوق على نفسه إلا بعد أن تمضي شهو ر عدة يعود بعدها إلى الأولى، وإن

الله قد نظم عملية غياب الزوج، فأعطى للزوجة الجديدة البكر أسبوعًا، وأعطى الثيب ثلاثة أيام.

وقالت أخرى: صحيح، فالزوجة الأخرى غالبًا ما تعين زوجها على ظلم الأولى، ثم إن كثيرًا من الرجال يتزوجون بأخرى من باب المغامرة والتسلية.

ثم قالت أخرى: قد لا تملك الزوجة الأولى رفض زواج زوجها بغيرها، إن عزم على الزواج، ولذلك أرى أن ترتب الزوجة وضعها الجديد وتتفادى التصادم مع الزوج، ومع زوجته الجديدة بأن ترفض، على الأقل، السكنى معها في بيت واحد، وإني لا أملك إلا أن أنصح الزوجة الجديدة بأن تكون عادلة وطيبة، وأن لا تعين زوجها على الظلم، إن قام به أو عزم عليه.

ثم قالت أخرى: أرى أن الزواج بأخرى يجب أن يكون من باب الاضطرار، هذ ما أفهمه من الآية الكريمة: (وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة)، وأرى أن الرجال في حقيقتهم غير مخلصين، ولا تصدقن أن هناك رجل لا يشتهي التعدد، فهم يقومون به من باب تجديد الشباب أو ما شابهه. أما عن الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة فأرى أن لا تظلموهن، فهن لهن نفس الحق بالزواج كالزوجة الأولى، وليس هناك زوجة تحب أن يشاركها أحد زوجها، لكن هذه سُنة الحياة، والزواج مودة ورحمة وليس حربًا، وأؤكد لكم أنه ليس من الضروري أن تستأثر الزوجة الثانية بالحب، فأنا أعرف من الرجال من لم يعرف قيمة زوجته الأولى إلا بعدما تزوج بأخرى،

ومنهم من ندم وعاد وقام بتطليق الثانية... على العموم أرى أن المشكلة تكمن في الزوج، وعليه يجب أن يعلم الرجل أن الزوجة أمانة، ولم يوضع عرضها للمتعة فقط.

أضافت أخرى وقالت: أرى أن الرجل يجب أن يتمتع بشخصية قوية تمكنه من السيطرة على الأمور فيعدل، وأرى أن الزواج من قضاء الله على الإنسان كما قال أحد الشيوخ، وهناك رجال في الحقيقة يُشترون، لكنهم للأسف قليلون، أما عن نفسي فأصارحكم بشيء، لو كنت أعلم، لتزوجت برجل متزوج أحبه، خيرًا لي من زواجي الحالي.

قفزت إحداهن وقالت: كفى بالله عليكن، والله أشعر أن الغيرة تقتلني، لمجرد أنكن تتحدثن عن هذا الأمر، فأنا أغار حتى من أم زوجي وأخته، فما بالكن بزوجة أخرى.

قالت أخرى: والله إن الرجال مثلنا طيبون، ويبحثون عن السعادة مثلنا، فلا تلوموا أحدهم لم يجد السعادة مع زوجته الأولى أن يتزوج بأخرى، وهذا أخير من أن يقضي حياته في نكد معها، وإن هناك كثير من النساء يستاهلن أن يتزوج أزواجهن بغيرهن، وإني أعرف نساء، والله في حاجة للزواج، يبحثن بأنفسهن عن رجل، حتى بين المتزوجين.

قالت أخرى: يا أخوات، والله ليس في أمر الزواج بأخرى ظلم لأحد، إلا عند الرجال الظالمين، ولوكان التعدد ظلمًا، لما أحله الله وفعله رسوله محمد

صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وإني أعجب منكم، لماذا تنظرون للتعدد من وجهة نظر الزوجة الأولى فقط، ولا تنظرون إليه من وجهة نظر الزوجة الثانية أو الثالثة. أعرف نساء يقولن، إن أزواجهن لم يحسنوا معاملتهم وأخلاقهم معهن إلا عندما تزوجوا بأخرى، فاتقوا الله وأنصفوا الزوجة الثانية، فانتم تظلموها وتتكلمون عنها بغير واقعها.

قالت أخرى: يا ليتنا نجعل الله سبحانه وتعالى وتشريعه وكسب رضاه هو محور نقاشنا، وما نجعل الزوج هو أكبر همنا.

قالت أخرى: ما هو الأفضل بالله عليكم، زوجة ثانية للزوج؟ أو زوج يعشش في شقق الدعارة، ويسافر بحثًا عن الساقطات؟ ويرجع لزوجته وأبنائه بأحد الأمراض الجنسية كالأيدز ؟ أجارنا الله وإياكم. أنا أرى أن تقبلوا بما قسمه الله لنا، والدنيا فانية وما تستاهل كل هذا التعنت والتشنج.

قالت أخرى: صحيح أننا نقبل بما قسمه الله لنا، ولكن الرجال أغلبهم لا يعدلون، أو لا يحسنون التعامل مع الزواج الثاني، فمجرد أن يتزوج الرجل تظهر المغامرات مع الزوجة الثانية، وتظهر ملذات الحياة والذهاب للمطاعم والمقاهي، والسفر إلى الخارج والرحلات، ويقوم بتحسين شكله وهيأته، وتزيين نفسه، وكل ذلك من أجل الزوجة الجديدة. أما الزوجة الأولى فتبقى محرومة من ذلك كله.

قالت نوال: يا أخوات أرى من خلال النقاش أن الجميع متفقات على التعدد، وأن لا بأس به، بالرغم من أنكت تخشين وتحذرن من ظلم الزوج وعدم العدل، لذلك أرى أن نقوم فندعو الرجال للقيام بالحقوق والواجبات التي عليهم، في نفس الوقت الذي ندعوهم فيه للتعدد وتشجيعهم عليه.

ارتفعت أصوات الجميع احتجاجًا على ما قالته نوال، ورفضًا لتشجيع الرجال على الزواج، وإن كان لا بد من ذلك، فعلى الرجال أن يتزوجوا الأرملة والمطلقة من ذوات الظروف الخاصة وما شابه ذلك، ولكن إذا كان الزوج عنده زوجة جميلة وذات دلال وعيال، فهذا يكفيه، ومثل هذه الأفكار كثير، وحتى إن كن متفقات على التعدد كونه تشريع سماوي، وأنه قد يصب في صالح المرأة أكثر من الرجل، لكن يجب أن يكون لذلك ضوابط كثيرة، كالعدل، وتغيير نظرة المجتمع للزوجة الثانية، وتغيير نظرتهم للزوجة الأولى، وعدم إتهامها أنها هي السبب في خروج زوجها من بيته، ويذهب للزواج بغيرها، وكذلك تصحيح مفاهيم كثيرة عند المجتمع حتى لا يجد النساء حرجًا من الزواج برجل متزوج، ولا يجد النساء حرجًا أمام المجتمع أن يذهب أزواجهن للزواج بغيرهن.

على أي حال، انفضَّ النقاش بعد ساعات طوال، وكل واحدة منهن كانت تعضد كلامها ببعض القصص الواقعية، وقد خلص أكثرهن إلى أهن لا يجدن بأسًا لقريبة السيدة سعاد أن تتزوج رجلاً متزوجًا، إن كانت قد وجدت في صفاته وشخصيته الرجل الذي تبحث عنه وتتمناه، فالعبرة بالرجل، كما قلنَّ، وليس بواقع حاله.

▪ موقف النساء الغربيات من التعدد:

أما في الغرب، فقبل أن أحدثكم عما يدور في الغرب، وقبل أن أنقل إلى القارئ وقائع أحد اجتماعات النساء لديهم، عندما كُنَّ يتحدثنَّ عن تعدد النساء، فإني سألقي الضوء أولاً للقارئ عن وضع النساء الاجتماعي هناك، وعن علاقتهن بالرجال.

علاقة الرجل بالمرأة، وعلاقة المرأة بالرجل في الغرب، تختلف تمامًا عما هو في البلاد العربية والإسلامية، قانونًا وعرفًا وتقليدًا، فالارتباط الزوجي - بخلاف المسلمين- هو من المسائل الثانوية، التي قد يُغني عنها ارتباط الأخلاء عندهم (الصواحب)، الذين يمارسون الحياة الزوجية بكافة مستلزماتها، دون أن يكون بين المرأة والرجل ارتباط رسمي في هيئة عقد زواج.

تبدأ قصة المرأة في الغرب، من الوقت الذي تصبح فيه فتاة، تشرف على بلوغ سن الرشد، وفي العادة تكون الفتاة قد تلقت من الأفكار والمفاهيم الاجتماعية ما يكفي، لتعي موقعها في المجتمع، وما لها وما عليها من حقوق، وخاصة حقوقها الشخصية، من الملبس والمأكل والمشرب، والعلاقات الشخصية بالرجال والنساء والأبوين والأقارب، وغير تلك الأمور التي قد لا تهمنا هنا، وما يهمنا هنا هو العلاقات الاجتماعية، وخاصة العاطفية منها والنفسية والجنسية.

فالقانون والأعراف والتقاليد تحمي حقوق المرأة الشخصية منذ سِنِّ الرشد وقبله، والتي تستند على الحرية المطلقة، فيما يتعلق بكل علاقاتها العاطفية والجنسية، دون قيود أو أوامر أو نواهي تقف أمام إرادتها، لممارسة أي نوع من العلاقات، مع أي أحدٍ من الرجال يستهويها، أو مع أي أحد من زملائها التلاميذ، في المدرسة أو خارجها.

تبدأ رحلة الفتاة في هذه السن المبكرة جدًا، وهي في صفوف الدراسة، والتي تكاد تكون مرسومة لها من مجتمعها، ومن خلال تأثير الفتيات الأخريات عليها، فتقوم الفتاة من منطلق إثبات الذات من جهة، وإشباع الحاجة العاطفية والجنسية من جهة أخرى، بتكوين أول علاقة عاطفية وجنسية مع أحدهم، لتكون هذه هي تجربتها الأولى، التي تقع من خلالها في الحب والغرام.

تبقى هذه التجربة في الحقيقة لها قداستها عند الفتاة، ومحفورة في ذاكرتها، وتتغنى بها في كبرها، وتهيم بالحبيب الأول في خيالها، فالفتاة في هذه التجربة الأولى عادة ما تستحضر كل مشاعرها وكل أحاسيسها والعاطفة لديها، وتقدمها للحبيب، بكل سخاء وبدون خوف، أو قيود أو شروط.

إلا أن هذه العلاقة، تغمرها الأحلام ويغمرها الهوى، بعيدًا عن الواقع، ولذلك فمن النادر جدًا لهذه العلاقة أن تبقى قائمة، أو تستمر عند هؤلاء الفتيان إلى مرحلة النضوج، كونها بعيدة عن الواقع ومتطلبات الحياة الواقعية، فضلاً على أن الفتاة وحبيبها،لم يرتبطا أساسًا ليكونا حبيبي العمر،

أو رفيقي درب الحياة، بل هما على علم ودراية، أنهما ليس لديهما مقومات الارتباط الدائم، من مسكن أو مال أو عمل أو علم، أو معرفة بكيفية التوافق، أو لمواجهة عواصف اختلاف الرأي، فلا يلبثان بعد أيام أو أسابيع أن يتفرقا، تحت أول صدمة نفسية تتعرض لها الفتاة غالبًا.

ولكن حلاوة المغامرة والتجربة والمتعة الجنسية، ومن خلال نفس التأثير الاجتماعي السابق، تندفع الفتاة فيما بعد لعلاقة عاطفية أو جنسية جديدة، تحيطها حلاوة الحرية، وعدم الارتباط والالتزام.

تبقى الفتاة على هذا الحال، تتنقل من فتى لآخر سنينَ، كما يحلو لها، حتى تبلغ مرحلة النضوج من عشرينيات العمر، التي تجد نفسها فيها، بحكم الفطرة، تتوق إلى الاستقرار، والحصول على الأبناء.

وبعد الاستقرار الوظيفي خاصة، تبدأ الفتاة بتغيير وجهة نظرها، للارتباط بخليل (صاحب) دائم، تصنع معه حياة تحظى بالاستقرار وبالأبناء، فإذا ما وجدت ذلك الخليل، الذي يوافقها وجهة النظر هذه، تبدأ معه في صنع تلك الحياة، وبعد مرور عدد من الشهور أو السنين من الحياة تحت سقف واحد، وبعد أن تكون علاقتهما قد تعززت بالحصول على واحد أو أكثر من الأطفال، يعزمان على الزواج والارتباط الرسمي الدائم.

بهذه العقلية وبهذه النفسية، التي لا بد للقارئ معرفتها، اجتمع النسوة من الغربيات -كما ذكرنا- يتجادلنَّ في موضوع تعدد النساء للرجل، وليس تعدد الزوجات، لأن تعدد الزوجات في بلدانهن ممنوع نظامًا، وقد كان في هذا اللقاء من بين النساء نسوة متزوجات، وكان من بينهن كذلك من الخليلات (أي صاحبات لرجال يعزمون الزواج بهن)، وأخريات كنَّ مجرد صويحبات لرجال عندهم زوجات أو خليلات، والمثير في الأمر، أن كان من بين الحاضرات كذلك صويحبات في الخفاء لبعض أزواج الحاضرات.

وبدأ الجدال في هذا اللقاء من هذه الأطراف المتعددة، منصبٌ على تعدد الصديقات والخليلات. وبدأ الحديث يكتنفه البرود في الجدال، كما هو معتاد في الغرب، فتحدث الصديقات أو الزوجات الأوائل في أمر تعدد النساء، واعتبرن أن ما يفعله الرجال في حقهن خيانة لهن لو قاموا بالتعرف على غيرهن أو الارتباط بغيرهن ابتداءً، ولكن بعد فترة من الجدال، أكدنَّ أن في الأمر نظر، إذا لم يقم رجالهن بالتفكير في هجرهن، لغرض الارتباط بغيرهن. وفي الأمر نظر كذلك، لوكان ذلك مجرد قفزات جانبية، كما يسمونها، أو مجرد نزوات شخصية، يرجع الرجل عنها فيما بعد.

أي أن النسوة الحاضرات، يؤمنَّ أن كل الرجال لهم لحظات ضعف، يجب غض الطرف عنها، ولا تستطيع أي امرأة أن تَحُول دون أفعال الرجال، ولذا فإنه ليس من الحكمة أن تهدم المرأة علاقتها بزوجها أو خليلها، لسبب عابر كهذا أو غيره، فقد يكون السكوت عن بعض الشر، أقطع للشر كله.

ومن ثم انتقل الحديث إلى النساء الصواحب عن فعل الرجل بتعدد الصديقات، وصرحنَّ أن ذلك مقبول عندهن، ولا يرون به بأسًا، فهن في الأصل صديقات لرجل متعدد الصديقات، ولذلك فهن لا يأهِن لهذا الأمر مطلقًا، وأن اهتمامهن إنما ينصب على أنفسهن ومتعتها، وعلى علاقتهن الصادقة مع الرجل، وينصب اهتمامهن على شخصية الرجل الفذة، أو على أدبه ولطفه، أو حسنه.

وأضفنَّ: إنه من المهم عندهن أن تجد المرأة صديقًا بالصفات التي تراها مناسبة، وذكرن صراحة، أن التصاحب برجل له صاحبة أخرى أو أكثر، له فائدة عظمى، لأن ذلك يعطيهن مساحة أكبر، من الحركة والحرية وعدم الالتزام.

ولقد وجد هذا الرأي قبولاً عند الحاضرات، وذكرن، إنه لا فائدة من التعصب والتشنج لهذا الأمر، فكثير من النساء، كما قلن، سعيدات مع رجال لطيفين ومحترمين، وذوي خلق جيد، ولكنهم مرتبطون بزوجة أو بخليلة (صاحبة) أخرى.

وقلن صراحة، إن أكثرهن يعلم، أن الرجال يسافرون منفردين إلى أعمال لهم في الخارج، أو إلى إجازات سياحية بإتفاق مع زوجاتهم، وكلهم يعلم أن أزواجهم يقومون بكل أنواع المتع في السفر، بما فيها كما يسمونها" القفزات الجانبية "، أي العلاقات الجنسية لليوم الواحد أو أكثر.

فقامت إحداهن وقالت صراحة، إنها علمت، بل وقبلت بخليلة زوجها

ورضيت بها، حتى أنها تصطحبها معها أحيانًا في المناسبات، من منطلق التفهم لحاجة زوجها، ومن باب الحل الوسط بينها وبينه.

ثم قبل أن ينفض اللقاء، بين هؤلاء النسوة، حدث ما يحصل دائمًا في نهاية النقاشات الغربية، وهو الخلوص إلى قاعدة الحل الوسط، وأن الأحكام على الأشياء بطبيعتها دائمًا ليست جازمة أو قطعية، وإنما هي نسبية، فلا يوجد في الحياة ما هو صحيح على الإطلاق، أو خطأ على الإطلاق، ولذا فليتخير المرء لنفسه حلاً وسطًا، لا يُضيع ما بيديه، ولا يطلب ما لا يقدر عليه، حتى ولو تنازل عن أمور، قد تعتبرها الفطرة غير مقبولة، كالغيرة مثلاً، فكما أن الرجل لديه قفزات جانبية، فهن كذلك لديهن قفزات جانبية أحيانًا، ثم انفضَّ اللقاء.

وهنا نخلص إلى حقيقة أنه ليس للنساء المسلمات أو الغربيات، مع فارق التشبيه بينهن، لا نجد موقفًا نسائيًا موحدًا، بالقبول أو بالرفض، ولا نجد وحدة رأي عن تعدد الزوجات عند المسلمات، أو تعدد الصديقات عند الغربيات.

وألفت نظر القارئ هنا، إلى أني لا أتعرض للموقف المبدئي من هذه القضية، ولا أذكر رأيي الشخصي فيه، وإنما أنقل هنا صورًا من الواقع الحالي، وآراءً عن ألسن أصحابها.

▪ موقف الرجال في العالم العربي والإسلامي من التعدد:

قبل أن أنقل إلى القارئ أحد النقاشات عن تعدد الزوجات، في مجلس من مجالس الرجال، أحب أن أسلِّط الضوء على حال الشباب المسلمين الاجتماعي، في البلاد العربية خاصة والبلدان الإسلامية عامة.

تبدأ رحلة الشاب العربي المسلم وهو فتىً، أي قبل أن يصل مرحلة البلوغ، وذلك بدءًا من الوقت الذي يشعر فيه بالميل الجنسي الحقيقي، كبصمة للرجولة، وهي الفترة التي طالما تمناها وحلم ببلوغها، أن يرقى فيها إلى درجة الرجال، إلا أن شعور الميل هذا يشغل الفتى كثيرًا، ويقلقه أحيانًا، ويُكثر عليه تساؤلاته المخفية، وتُكثر عليه أسراره، وتحيره في كيفية التعامل بهذا الميل الجنسي ومعه.

ومن هنا تبدأ الأفكار والمشاعر عند الفتى، تتوارد عليه متتابعة، يدفعها إحساسه بالتأثير الجنسي العضوي، في أوقات مختلفة من النهار والليل، بوجود مؤثر أو بعدمه، فضلاً عما يسمعه من زملائه في المدرسة والشارع عن العلاقات الجنسية بين الأزواج أو غيرهم، التي تتحدث عن نفس هذا الشيء الذي يعتمر جسده ونفسه.

إضافة إلى ذلك، يقوم كثير من الفتيان بالتعامل مع هذه المسألة، ومعالجة هذا الميل بتبادل الصور والأفلام الجنسية، ومواقع الأنترنت الإباحية. مما يدفع ذلك كله الفتى إلى إعمال فكره أكثر عن هذا الإحساس الذي يخفيه،

ويزيده خوفًا وحياءً أن يبوح به لأحد، أو أن يتهمه أحدهم بسوء الأدب أو الدين.

ومن هنا ينطلق انشغال الفتى بأمر طبيعي في نفسه، ومُنكرًا لو أسمعه لأحد غيره.

ويبقى على ذلك، حتى ينتقل إلى صفوف دراسية أعلى، يلتقي فيها بشباب دخلوا في مرحلة البلوغ مثله، ويجدهم يتحدثون عن الأمور الجنسية، بشكل أكثر تفصيلاً وأوضح لفظًا، ولا أخفي أن ذلك يستهوي الشاب البالغ، لأن ذلك يمس ما يشعر أنه بحاجة إليه، فتبدأ الأحاديث عن الفتيات مع من يكبره من زملائه، ويبدأ يرى الواقع العملي لدوافع الميول الجنسية هذه، وكيفية إشباعها وأين.

ومن هنا تبدأ معاناة الفتى الذي بلغ سن الرشد والتكليف، طاقة جنسية وطاقة عضلية، وطاقة عاطفية، ولكن غير معترف بها تربويًا أو اجتماعيًا، فيبقى لا يجد لها تصريفًا، إلا أن يدُلّه أحد أقرانه إلى العادة السرية كما يسمونها، أضف إليها معاناته الجديدة بفصله عن النساء، ومعاناته من شعوره حذر الناس منه، كمقترف إثمًا في حقهم.

وتستمر رحلة هذا الفتى وهو يمشي بين الناس الرجال فقط، يحمل في طياته ما لا يقدر أن يحدث به إلا أقرانه، الذين لا يجد عند أحدهم حلاً لمعاناته، إلا التوجيه إلى ممارسة العلاقات العاطفية والجنسية، مع إحدى الفتيات الأجنبيات، عن طريق التعارف المخفي، في الأسواق أو في أي أماكن عامة

أخرى، حتى هذا الأمر قد لا يجد في نفسه القدرة عليه، فهو يتطلب الجرأة الكافية والإقدام، ومسائل أخرى.

يكبر هذا الفتى ليصبح شابًّا، في صورة رجل كبير، ذي جسم ضخم ولحية وشاربين، وهو ما زال تلميذًا في مدرسة، وطفلاً عند أبويه، ورجلاً في داخل نفسه غير معترَف به.

ولا تجد البالغ هذا يُوقف حديثه يومًا عن مستقبله، وما ترسم له الأيام، وقلما تجد عند من يحدثهم أنهم ينظرون إليه نظرة الرجل المؤهل لحياة زوجية أو عاطفية، غير سماع بعض الدعوات من أمه، وهي تتمنى أن تراه يومًا رجلاً، يتزوج بأحلى فتاة، وينجب أجمل الأبناء لتفرح بهم... بل يجد الأحاديث الموجهة إليه من والديه تتجاوز الحديث عن الحاضر، وتتجاهله بالحديث عن المستقبل البعيد، ومقتصرة على إتمام الدراسة الثانوية ومن ثم الجامعية، ومن ثم الحصول على الوظيفة، ومن ثم التخطيط لبناء عش الزوجية، ومن ثم، ومن ثم،،، دون أن يدرك محدثوه ما يعتمر في قلبه وفي نفسه، وفي أعضائه من حاجة وميل جنسي وعاطفي، فيفهم من خلال هذه الأحاديث بهذه الكيفية، أنه يجب عليه أن يكبت كل هذه المشاعر والأحاسيس، حتى تمضي سنين وهو باق على هذا الحال، ليأتي اليوم الذي يتزوج فيه، بالكيفية التي رسمها له المجتمع، ولم يرسم فيها لنفسه منها شيئًا.

يبقى الشاب على هذا الحال سنينَ، وعن أي شاب نتحدث؟ عن الذي استطاع أن يكبت كل هذه الطاقات لديه حتى الأجل غير المسمى، أم عن

الشاب الذي لم يقدر على كبتها؟ وقام بتصريفها متنقلاً بين فتيات مجتمعه، يتبادل معهن علاقات غير منضبطة بضابط، ومعلومة أو غير معلومة الأبعاد.

ولذا فإنك تجد في مجالس الشباب الكبار من الجامعيين أو حتى بعض المتخرجين منها، الشعور بالحسرة والقهر والغبن، فهم بعد كل هذه السنين، التي لم يشبعوا فيها ميلهم الجنسي الطبيعي بشكل طبيعي، لم يصلوا بعد إلى الكفاية المادية للقيام بأعباء الزواج أساسًا، حتى أنك تجد بعضهم قد أصابه اليأس، أو حتى الرفض لفكرة الزواج، بالكيفية الاجتماعية الحالية بأعبائها، حتى وإن وصل إلى حد الكفاية، وإننا لنجد كثيرًا منهم، قد استمرأَ الحرية في العلاقات العاطفية والجنسية غير المشروعة، إلى حد المفاخرة بالمغامرات الجنسية وما يتعلق بها، مع أصدقائه ومن يجالسونه.

ولقد التقيت بأحد الشباب في أحد البنوك وهو في موقع وظيفي جيد، ويرفض الزواج، مع وجود الكفاية لديه، قائلاً لقد قمت بتوفير مائتي ألف ريال، جهد عدد من السنين، وأنا أشفق عليها الآن أن تطير في مصاريف الزواج وحفل الزفاف.

أما كيف يقوم هذا الشاب بإشباع ميله الجنسي؟ فقد استحييت أن أسأله.

هذا هو الواقع الحالي لشباب العرب والمسلمين في كافة بلدانها، قد يكون هذا الحال بالكيفية التي وصفت في بلد ما، مختلفًا عن بلد آخر، ولكن المضمون عندهم جميعًا في حقيقته واحدًا.

بهذه العقلية والنفسية، شارك هؤلاء الشباب في اللقاء الذي قام به مجموعة من الرجال، يتجادلون فيه عن تعدد الزوجات، وقد كان من بين الحاضرين نسبة كبيرة منهم، ممن لم يذوقوا طعم الحياة الزوجية يومًا، ولم يعرفوها كما ذكرنا، وآخرون من الحاضرين كانوا من الشباب المتزوجين، ممن كان أهاليهم من الأغنياء، وأعانوهم على الزواج وتكاليفه في سن مبكرة (في العشرينيات)، وغيرهم من المتزوجين ممن كانوا يطمحون بالزواج للمرة الثانية أو الثالثة، ومن الحاضرين آخرون ممن كانوا متعددي الزوجات.

بدأ الجدال في تعدد الزوجات تحت ابتسامة تهكمية من الشباب العُزَّاب، كما خبرنا أمرهم، وعلمنا ما يدور في خاطرهم، فهم لم يتمكنوا من الزواج، فضلاً عن أن يشاركوا في نقاشٍ عن تعدد الزوجات، فجلسوا منصتين، كجلوس الكرام على مائدة اللئام.

أما الشباب المتزوجون من المشاركين، فهم في الغالب ينتمون إلى عوائل كما ذكرنا من الأغنياء، والحديث عن تعدد الزوجات عندهم، بمثابة الذي يجلس على مائدة من أشهى الأطعمة، ويمنعهم الشبع تناول شيء منها، ولذا تجدهم يستمعون لحديث تعدد الزوجات من باب الترف، ومن منظار جنسي.

أما أغلب المتزوجين الحاضرين، فكانوا يتحدثون عن تعدد الزوجات وعن النساء، وترى اللعاب يسيل من أفواههم، وترى في أعينهم عزمهم عليه،

ويتحينون الفرص له، ويذكرون أمانيهم بالزواج بفتيات صغيرات السن شقراوات أو حمراوات أو سمراوات، رشيقات أو بدينات، مقارنة بزوجاهم اللاتي أفسد قوامهن وهيأهن الدهر، ثم أخذ المجلس طابع سوق الحريم، أو سوق النخاسة. إلا أن بعضهم لم يُخف خوفه من زوجته ومن أنكادها إن قام بالزواج، والبعض الآخر أبدى تذمره من التكاليف التي يتبعها هذا الفعل، والتي تحول بينه وبين عزيمته.

أما بعض المتزوجين، فقد كان رأيهم أن يبتعد الجميع عن فكرة مضنية كهذه، ومن أراد التعدد فليعدد الصويحبات ويرتاح، أو ليسافر إلى أي بلد أجنبي ويأخذ نصيبًا من المتعة، التي ليس من ورائها تعب ولا نصب، كما هو في تعدد الزوجات.

ثم انتقل الحديث إلى متعددي الزوجات الذين اتخذوا جانبًا من المجلس، ينبيء عن شعورهم بالهيبة والسلطان والمتعة، وشعورًا بالباشوية، كونهم قد حققوا لأنفسهم بتعدد الزوجات ما لم يحظ به كثير من الرجال، فضلاً عن الوجاهة التي يشعرون فيها بفحولتهم تجاه أقرانهم. ولم يكن حديث هؤلاء الأخيرين خيرًا ممن كان قبلهم، فهم ينظرون إلى التعدد نظرة جنسية، تكاد تكون مطلقة.

ولكني هنا لا أهم جميع متعددي الزوجات بما ذكرت، وإنما أنقل ما يدور في مجالس الرجال، فيما يتعلق بهذا الأمر، فهناك من أخذت ظروف معينة بناصيته لأن يكون له أكثر من زوجة، وهو في الحقيقة لم يكن يعدّ لهذا

الأمر يومًا عدةً.

فقد ذكر أحدهم أنه كانت له زوجة واحدة راضيًا بها، ولم يفكر يومًا بالزواج بغيرها، وفي يوم من الأيام اختلف مع زوجته، ابنة خاله، وأدى هذا الاختلاف إلى أن تذهب الزوجة لزيارة أبيها، ثم قررت عدم العودة إليه، وبعد شهو ر من المحاولات للصلح معها، أبت الرجوع لبيتها، حتى يأس من ذلك، فقرر الزواج بغيرها وتزوج، فأثار هذا حفيظتها وغيرتها بشدة، فقررت الصلح مع زوجها والعودة إلى بيتها، فقبل هو بذلك، ولكن تحت رفضه التخلي عن زوجه الجديدة، فقبلت ثم رجعت وسكنت مع زوجها والزوجة الجديدة، تحت سقف واحد وفي بيته الصغير، تحت ظروف وأحوال جديدة.

ولا يخفى أن متعددي الزوجات عادة من الميسورين، الذين قد تجاوزت أعمارهم غالبًا الأربعين من العمر، بحكم الكفاءة المادية ولأسباب أخرى سنذكرها لاحقًا، ولم يُخفِ هؤلاء حقيقة أن لهم الرغبة في الزواج، إضافة إلى ما عندهم من زوجات.

إلا أني وجدت أن أغلب هؤلاء من متعددي الزوجات أو الراغبين في التعدد، لا يرون صحة العلاقات غير الشرعية، ويرفضونها ظاهرًا وباطنًا، بالرغم من الانفتاح المريع، ويجدون أن من له رغبة في الارتباط بامرأة أخرى عليه بالزواج الشرعي، واتخاذ طريق الستر.

إلا أني لم أجد في هذا اللقاء كغيره من مجالس الرجال، الحديث عن التعدد من منطلق فكري أو إنساني أو تربوي من أحدهم، كالحديث مثلاً عن ضرورته، أو الميل إلى التكاثر لصنع أبناء متميزين، أو غاية الستر على النساء اللواتي لا يجدن أزواجًا، أو ما شابه هذه التوجهات.

وقد عجبت من أمرٍ في هذا اللقاء، أنه لم يقم أحدهم بسؤال الحاضرين، لماذا يميل الرجل إلى تعدد النساء ويرغب فيه. فكأن الأمر مسلّم به عند الرجال، بسبب أو بدون سبب.

- ■ **حديث أحد المجالس المختلطة من النساء والرجال:**

أما لماذا يميل الرجل إلى تعدد النساء؟ ولماذا يرغب فيه، ويقوم به؟ فهذا السؤال في المجالس المختلطة العامة أو الخاصة من النساء والرجال، تجده يُطرح بقوة من النساء على الرجال، حيث يحتدم الجدال في مثل هذه المجالس عادة، لحصول المواجهة المباشرة، ولأن الرجال لا يجدون جوابًا وافيًا ومقنعًا عن سبب إقدامهم بالتعدد، أو على الأقل سبب رغبتهم المخفية أو المعلنة إليه.

ففي مجلسنا هذا المختلط، طرحت شابة يافعة جميلة معتدة بنفسها، حديثة الزواج مغيظةً، سؤالاً جدليًا للحاضرين، وجهته للرجال بجرأة، وكأنها كانت تخفي خوفًا من زوجها أن يقدم على الزواج بأخرى، فقالت:

- ولماذا لا نقوم نحن النساء بتعدد الرجال؟ لماذا يقتصر الأمر عليكم أيها الرجال؟ هل حاجتكم الجنسية أكثر منا؟ حتى تقومون أنتم بالتعدد، ولا نقوم به نحن؟.

فقامت إحدى السيدات الكبيرات بهدوء ووقار، قائلة لها:

- إن الله فرض علينا ذلك، ويجب علينا أن نقبل به تسليمًا، وهذا ديننا، وهذه عقيدتنا، ويجب أن نقبل بهذا الدين بحلوه ومُرّه يا ابنتي.

ردَّت عليها الشابة من فورها قائلة:

- ولكن الله لم يجعل ذلك من باب الإلزام، فللرجل أن يُقدم على التعدد

أو يُحجم عنه، ولا أرى أن الرجل في حاجة إليه إذا وجد امرأة جميلة، كاملة، عاقلة، ربة منْزل جيدة (ست بيت)، ووجد عندها كل ما يرضيه. فلماذا إذن البطر؟ وعدم شكر النعمة؟

وكأن حديث هذه الشابة لامس هوى كثيرٍ من الحاضرات، فقالت إحداهن متعجلة تُسمع زوجها المتزوج بأخرى:

- صحيح، لماذا يتزوج فعلاً؟ والله إنه ظلم للزوجة، وخاصة أن الزوجة تكون قد قضت معه سنين كثيرة، وقدمت له أفضل الأبناء، وتتعب كثيرًا في القيام بمسؤوليات البيت؟ صحيح إن الرجل غير ملزم بالزواج، وهذا قراره في الأول والآخر، وهو مسؤول عنه وليس الدين... وقامت تعدد مناقبها منفعلةً، حتى أن دمعها سال على خديها.

فقال أحد الرجال الحاضرين:

- إن الله سمح بهذا الأمر، ويجب على المرأة القبول به وكفى.

فقالت أخرى من فورها:

- عجبًا لكم أيها الرجال، أو لم تجدوا في الدين إلا هذا الأمر، تحرصون على تطبيقه، من بين أحكام أخرى كثيرة؟

فقال أحد الرجال ضاحكًا:

- أنتن النساء تريدن منا أن نطبق الأحكام التي توافق هواكن، ولا تقبلن بما لا يوافقه. والتعدد أمر طبيعي، على الزوجة القبول به، وتسمع وتطيع وترضى.

فقالت من فورها:

- لا، إن هذا أمر غير طبيعي، إنها أنانية من الرجل، وحب للنساء وحركاتِ الحريم، فلماذا لا يصبر الزوج على زوجته، ويكتفي منها بحاجته، ويحفظ ماله وبيته وأبناءه؟

فقال الرجل:

- إن التعدد لا يمنع من أن يؤدي الرجل واجباته تجاه أهل بيته، ولا يمنع هذا ذاك.

فقال أحد الرجال مازحًا وملطفًا لجو النقاش، وزوجه (ترمقه) تزجره بنظراتها:

- والله إني أتمنى الزواج بأخرى، لكن عندي زوجة شريرة تمنعني، وإلا كنت تزوجت بنانسي عجرم، أو هيفاء وهبي.

ثم أخذت دائرة الجدال تتسع، والأصوات ترتفع، وحصل هرج ومرج، حتى انفضَّ الجدال، وانتقل الموضوع لغيره، دون أن يصل الحاضرون والحاضرات إلى أجوبة مقنعة تحسم الأمر، وتفض النِزاع.

▪ موقف الرجال الغربيين غير المسلمين من تعدد النساء:

لم أجد في مجالس الرجال الغربيين يومًا موقفًا رافضًا لمسألة تعدد النساء، ولا أقول تعدد الزوجات، فكما قلنا إن النظام عندهم لا يسمح بهذا الأمر، فلذلك يقتصر الحديث في مجالس الرجال عندهم على تعدد النساء، في صورة الصاحبات، أو الخليلات، أو سمها ما شئت.

فالرجل الغربي لا يرى بُدًا من التنقل بين أحضان النساء، كيفما يحلوله ذلك، وكيفما أتاحت له الفرص ذلك، من منطلق أنه يعيش تحت مظلة نظام، يتيح له بل يحمي حريته الشخصية، وهذا الأمر من الحرية الشخصية، طالما أنه لم يتعدَّ بالقوة، ولم يعتدِ على حرية أحد من النساء.

فالنظام وكذا العرف يتيح للرجال تعدد النساء أو دونه، طالما أنهم يجدون نساء يرتضين الارتباط بهم عاطفيًا أو جنسيًا، فليس هناك حسيب عليهم، أو رقيب يمنعهم منه، بل هو أمر مُسلّم به.

على العموم فإن مسألة التنقل بأي كيفية كانت بين الصويحبات والنساء أيًّا كنّ، وكيفما كنَّ، متزوجات أو عازبات أو غير ذلك، فذلك أمر طبيعي جدًا، ولا تجد للتنقل رافضًا أو ذامًا بين الرجال منهم، بل إن ذلك في نظرهم غاية المتعة ومنتهى النعيم، وإن من جهل الرجل وقلة فطنته عدم الاستفادة من هذه المتعة، بل لقد وجدت قفزة اليوم الواحد الجنسية "كما يسموها"، رواجًا عند حوالي أكثر من ستين في المائة من الرجال منهم.

مشهد تلفزيوني

استحضرتْ الكاميرا مشهدًا رائعًا لزوجة مع زوجها وأبنائها، على طاولة طعام فاخرة، في منْزل يكاد يُسمى فاخرًا، ينبيء للمشاهد عن عائلة سعيدة وبيت سعيد. عبّر عن هذه السعادة ألوان جدران هذا البيت المبهجة، الذي زاد في بهجتها وزهاها الأضواءُ القوية المسلطة عليها، والموزعة توزيعًا فنيًا.

تُتحف طاولة الطعام هذه، عددٌ من الشموع الحمراء الطويلة، على مفرش أبيض اللون يغطيها، تتوسط الشموعُ أطباقًا زاهية الألوان، وأوعيةً ممتلئة بأشهى أنواع الطعام، لتلقي على أطراف هذه الأوعية والأطباق لون النار الدافئ، فتزداد الأطباق والأطعمة بهجة. فضلاً عن بعض من الورود الرقيقة، التي تضفي على المشهد هذا آخر لمسات الفنان للوحته الفنية الفريدة.

تجلس الزوجة إلى يمين الزوج الذي يتصدر الطاولة، وقد عقد منديلاً على صدره، لحماية ملابسه من فضلات قد تسقط عليها أثناء الطعام، وكذا فعل أفراد العائلة الباقون من الأبناء. كانت الزوجة في أبهى زينتها كأنها في حفل عرس، أو أحد الحفلات النسائية التي يتنافس النساء فيها عادة على حسن المظهر، وكانت هذه الزوجة قد قفزت فوق حاجز الأربعين ربيعًا، وهي ترى في نفسها المرأة الأجمل والأكمل من بين النساء... كما توحي الكاميرا بذلك للمشاهد.

أخذ المشهد التلفزيوني في العرض، تحت موسيقى رقيقة في الخلف، أعدها مهندس الصوت ليكون المقطع شاعريًا، ومتناغمًا مع هذا الجو العائلي البديع، ومع هذا المجلس الذي قلما تجد شبيهه بين العوائل العربية، ما عدا العوائل التي قد أخذت كمًّا دسمًا من الثقافة وطريقة العيش الغربية، أو كان المنظر بهذه الكيفية مما أوحى به خيال الكاتب إليه أو المخرج، أن هذا المشهد هو صورة كمالية لزوجة وعائلة مثاليين، وبيت مثالي، فالغرب أنفسهم قلما تجد هذه الطقوس عندهم في كيفية الطعام والمجلس للطعام، إلا ما تراه في الفنادق السبعة أو الخمسة نجوم...

إلا أن المخرج التقليدي يلجأ أحيانًا إلى المبالغة في تصوير الأشياء، حتى يبرزها ويلفت النظر إليها ما استطاع.

على أي حال الفكرة قد وصلت، عائلة سعيدة، في مجلس سعيد، وأبناء أصحاء، وزوج قد قُدرت له كل أسباب السعادة والطمأنينة من زوجه، وصورة تصل إلى الكمال في كل شيء، حتى أن صور الحائط تكاد تكون لا تجد إحداها متنفسًا لأن تميل بمقدار شعرة، فالأم هذه دقيقة جدًا، وصلت إلى درجة الكمال في كل شيء، وكأنها سدت كل الذرائع عن أي ثغرة، قد ينفذ من خلالها أمرٌ غير محمود، فليس لعائلة كهذه بكمالها إلا الجنة. وليس لزوج كهذا إلا أن يبقى ساجدًا لله، شاكرًا إياه هذه الزوجة، وهؤلاء الأبناء، وبيت الأحلام هذا السعيد.

تعالت ضحكات وابتسامات هذه العائلة على هذه الطاولة، وهم يتندرون

ويتفكهون بنِكات وقصص نادرة الحدوث، ثم يقوم الزوج شاكرًا لله ولزوجه هذا الطعام اللذيذ، وتُبادله هي ألفاظ الإمتنان، وكذا فعل الأبناء، بألفاظ تنمُّ عن أدب رفيع، وتربية مُحكمة.

تتنقل الزوجة في مشهد آخر في أرجاء بيتها، وهي لا تكاد تظهر في كل المشاهد إلا في أبهى حلة، وأتقنِ ماكياج، وأكملِ تسريحة شعر، ومع ذلك فبيتها وأبناؤها، كما وصفنا، من النظافة والترتيب والإتقان. ولكن المخرج في كل مرة يسلط الضوء عليها، وهي تنظر إلى نفسها في المرآة عابرة، غير مهتمة بها، وكأنها تقول للمرآة: أنا لست في حاجة أن أمعن النظر إليكِ، فجمالي وبهائي في غنى عنكِ.

وماذا بعد هذا المنظر البديع؟...

ينتقل المخرج إلى الزوج في مكان عمله، وهو يدير مؤسسةً ما، تساعده في عمله سكرتيرةٌ شابة جميلة، في غاية الرشاقة والحسن، وفي غاية البهاء، وعن زينتها فلا تسل، صورة كاملة مكملة، لا تجد جانبًا لم تمر عليه أيادي الزينة وموادها، وهي ليست في حاجة إلى الزينة أصلاً، حتى ليتعجب المشاهد متسائلاً، من أين أتى التلفزيون بامرأة في مثل هذا الجمال.

وتتابعها الكاميرا، وهي تتنقل بين جنبات مكتبها ومكتب مديرها. والمدير، بل والمشاهد كذلك، لا يكادون غض الطرف عنها، وهي مسرورة بافتتان مديرها وإعجابه بها، وأين تجد معجبًا بها خيرًا منه، في جاهه وهيبته وثرائه، وتتعالى الضحكات بين المدير وسكرتيرته الفاتنة في الشاشة الصغيرة،

وتتوالى المشاهد الناطقة بميلهما لبعضهما، وربما بحبهما والتصاقهما ببعضهما، حتى لم يكن بدًا من غاية هذا كله للرجل المدير، إلا أن يقرر الارتباط بها، فليس هو ذلك الشاب الذي يحب أن يعيش أيامًا، يهيم فيها بحبيبته، وليس هو ذلك الذي عنده من الوقت ما يكفي، لأن يضيع بعضه في مغامرات ولقاءات ومواعيد، وليس هو ذلك الذي يهون عليه وقاره وهيبته، لأن يصرف شيئًا منها في علاقة مشبوهة، يتخفى بها بين الناس، فلذلك قرر الارتباط بها، وقد وافقت هي على الارتباط به، وهي تعلم أنه رجل متزوج.

انتقل المشهد التلفزيوني إلى صالة مليئة بالرجال والنساء، في احتفال عارم، وعروسين، أحدهما المدير والآخر السكرتيرة، والفرح يغمر الوجوه والقلوب وجو كغيره من أجواء احتفالات الزفاف، مليء بالرقص والغناء، وحافل بالألوان والأنوار، والحلل الزاهية والورود، وتحفّهم الفتيات والفتيان من كل جانب، والكل منتشي في بحر من المرح والفرح.

يقتطع هذا المشهد التلفزيوني مشهدٌ آخر، بموسيقى الدوّامات المدوّية، وزوجة الرجل السعيد "أم الأولاد" في بيتها، وقد علمت أن هذه الليلة هي ليلة زفاف زوجها بسكرتيرته، التي لم يسبق أن تُعرها أي اهتمام، فزوجها لم يكن في حاجة إلى امرأة مثل سكرتيرته هذه، وقد أغرقته هي بكافة أنواع السعادة والهناء. وبدأ مشهد الزوجة المقتطع يصف حال الزوجة، فأخذ يصور ماهية الأفكار التي أخذت تعصف بالزوجة، بعد الصدمة العصبية

التي نالتها، فقد اختلفت أضواء المخرج لذلك البيت السعيد، لتلقي عليه ظلاً كئيبًا، ويصور الحزن في حلته، وأخذت الكاميرات تتوجه كلها على الصور العصبية المعلقة على الحائط، أو على صندوق القمامة، بعد أن كانت مسلطة على باقات الورود في المنْزل، أو على حديقته العامرة بالزهور.

وأخذت الزوجة، كالمودع لحياتها الزوجية تنتقل بها الكاميرا لمشاهد ذكريات السعادة والفرح، والرحلات السعيدة السابقة مع زوجها، ولسان حالها يقول بفقدان هذا كله، وأن لا عودة إلى ذلك بعد اليوم، وأن الشقاء بدأ زمانه، وهبت ريحه.

ثم تعود الكاميرا إلى الزوج في حفلته تصوره في سعادة وفرح وسرور، وكأن زمن الحرية عنده قد أشرف، وأشرف معه الإنعتاق من زوجه العجوز وأبنائه، وهبت ريحه من الآن فصاعدًا.

انتقلت الكاميرا إلى فترة شهر العسل مع الزوجة الجديدة، على أحد شواطيء البحر الساحرة، وهما يجريان على طرف الشاطيء، بتصوير الكاميرا البطيء، بملابس رحلات فضفاضة زاهية، تطير مع الهواء حيثما هبَّ الهواء، وكأنما يسبحان فيه، لتعبِّر عن مدى سعادة الزوجين العروسين، وصعودهما إلى سماء المتعة والأحلام، والابتسامات تعلو وجهيهما، تزاحم ملامح الوجه الأخرى، وتصور المدير الوقور يلعب بالماء ويتمرغ في الرمال، كطفل لم ير الماء والرمال من قبل.

ثم تعود الكاميرا إلى الزوجة الأولى، وتتكرر المشاهد عليها، في بيتها المظلم، ودمعتها على خديها، وهالات سوداء حول عينيها، وشعر متطاير غير مصفوف، وماكياج أصفر يوحي ببؤسها وشقائها، وموسيقى حزينة، وهي تقف أمام المرآة بملابس المطبخ، التي طالما جافتها، تتأمل في نفسها، وتتلمس وجهها وبشرتها، وتتحسس مناطق الضعف في جمالها، التي ربما قد كانت هي السبب التي دفعت بزوجها لأن يتزوج بغيرها.

ثم انتقلت الكاميرا إلى الأبناء، وقد اعتزلوا الحياة الجماعية، وانفرد كل واحد منهم في غرفته منعزلاً، تغطي وجوههم مسحةٌ من الكآبة... ثم تعود الكاميرا تلتقط لهم صورًا وهم جالسون على طاولة الأكل، وقد بدأ تصوير المشهد بكرسي الأب الفارغ، والمتصدر صدر الطاولة، ومشهد الطعام الذي أخذ منظرًا رتيبًا، مجرد صحون متوزعة، ووعاء واحد في الوسط تغرف لهم أمهم منه الطعام، ثم قام أصغر الأولاد بسؤال أمه عن أبيه أين هو، ولِمَ لمْ يعد يراه في البيت، ولِمَ لمْ يعد يجلس معهم يتناول الطعام، ما دفع سؤاله هذا الحاضرين من إخوته لأن يكتفوا بما أكلوه من الطعام ويقوموا، وكأنه صدمهم بذكرى مأساة، تلوع الأكباد.

أخذت الكاميرا تتنقل بين الزوج السعيد مع عروسه من جهة، وإلى زوجة الرجل الأولى في بيته من جهة أخرى، وكأنه حديث مقارنة، أو إطلاع البشر على الأسرار التي عادة ما تحصل في مثل هذه الأحوال.

فهنا الزوجة التعيسة، التي فقدت كل شيء، وذبلت، فأفلت نضارتها،

وتبددت بهجتها، وهناك الأبناء الذين ضاعوا وتفرق جمعهم، وبدأ سلوكهم بالانحراف داخل البيت وخارجه.

وهناك الزوج السعيد، الذي لم يعد لوجهه العبوس الجاد سبيل، فلقد غيرت الكاميرا ملامح وجهه من عابس إلى ضاحك، ومن جاد إلى مازح، ومن رجل مملّ إلى رجل ونيس متبسط، ومن رجل تقليدي الملبس والمظهر إلى رجل شاب عصري. وتُظهره وقد أصبح ناسيًا أن له زوجة وأبناء خلفه وبيت، آخذًا بنفس عميق متسائلاً، أين كان من هذه الحياة، التي لم يعرف متعتها من قبل قط، فلقد أنسته زوجه الجديدة كل بؤس وشقاء.

ولقد أفقدت الكاميرا وجود الزوج في بيته ومن بين أبنائه شهورًا، وكأنها أعطت المشاهد فكرة أن الزوجة وأبناءها فقدوا حياتهم الاجتماعية وأباهم إلى الأبد، وكأن الزوجة الثانية قد اختطفته نهائيًا، ما جعل الزوجة تندب حظها، والأبناء يترحمون على أبيهم الفقيد.

ولكن بعد مشاهد كثيرة محزنة، وأخرى مبكية للمشاهدة والمشاهد، وبعد أن طال عناء الزوجة الأولى والأبناء "المنحرفين" شهورًا، بدأت ترجح كفة الزوجة الأولى والأبناء، وأصبحت المشاهد التلفزيونية والأحداث تصب في مصلحتهم، حتى انتهت المشاهد إلى مشاهد من طراز النهايات السعيدة، كان مضمونها رجوع الأب المدير إلى زوجته الأولى وأبنائه وبيته، في مهرجان من الفرح والسرور وعودة مشاهد الزينة إلى البيت والأضواء والزهور، وإلى الأب المعترف بذنبه، التائب منه، بعد أن اكتشف خيانة

وطمع زوجته السكرتيرة الخاطفة.

وبهذه النهاية السعيدة ينتهي المشهد الذي أثلج صدر المشاهد، والمشاهدة خاصة، وأراحهم وطمأنهم على العائلة المسكينة، التي أجرم في حقهم أبوهم، وأجرمت في حقهم السكرتيرة اللعينة، التي اختطفته من أبنائه وزوجه وبيته.

هَمَسات

هذا وقد انتهى المشهد التلفزيوني، الذي جلس أمامه المشاهد، يتلقى مادة بالسمع والبصر مجتمعين، دون أن يكون له الحق في مناقشة ما يرى وما يسمع، فمن الطبيعي أنه ليس له في المشاهد التلفزيونية إلا التلقي، ولكن لحسن الحظ قد انتهى المشهد برضى المشاهد والمشاهدة، فثمرة المادة كانت ثمرة حلوة المذاق، وهي النهاية السعيدة.

إلا أني أعجب لمادة كهذه، وهي في حقيقتها تمثل قصة تتحدث في أصلها عن جانب اجتماعي نادر الحدوث، وبالتالي غير واقعي، فمثل هذا المشهد كثير من المشاهد التلفزيونية غيره، التي تتحدث عن نفس الموضوع، وبنفس الكيفية، زوج سعيد، حياة عائلية مستقرة، أبناء من أجمل ما أنجبت الأرحام، زوجة رائعة، بيت فاخر، مكتمل من كل شيء، ثم كفر النعمة من الزوج، خروج الزوج عن المألوف، افتتانه بالقشور، انجرافه إلى هاوية مجهولة، توالي الوقوع في الأخطاء، الارتباط في هيأة زواج، ثم سقوط الزوجة أم الأولاد في هلاك العذاب، انحراف الأبناء وضياعهم، تشتت شمل العائلة، ثم يعود الزوج إلى صوابه، بعد أن يكتشف أن الزوجة الثانية قد اختطفته، وأنها كانت امرأة غير نزيهة أو ما شابه ذلك، ويعود لأبنائه تائبًا مستغفرًا، وتنتهي القصة بهذه النهاية السعيدة.

قد لا أعلم ماذا يريد المخرج أو الكاتب من قصص أو سيناريوهات كهذه، وخاصة أن من يشاهدها هم كل فئات المجتمع، من الأطفال والفتيان والفتيات والشباب، والرجال والنساء، والشيوخ والعجائز، فما

هي الفكرة التي يريد أن يوصلها الكاتب والمخرج لهؤلاء، هل ذلك معلوم، أم كما يقال "المعنى في بطن الشاعر".

على أي حال فإني أجد أن كل هذه القصص مهما اختلفت أو تنوعت، في مضمونها أو في نهاياتها، هي قصص مُختلقة، وهي من ضرب الخيال، أي ليس لها أرضية واقعية، وهي تنقل للمشاهد وتغذي دماغه بأفكار جديدة، أو بأفكار من شأنها أن ترسم له قاعدة فكرية جديدة للحكم على الأشياء، بخلاف ما اعتاد عليه من خلال مبدئه. أو كأن القصص أريد منها أن تنير للمشاهد طريقًا، لم يكن يبحث عنه أصلاً.

فهل هذه -حقيقةً- هي الفكرة التي يجب أن تحملها كل شرائح المجتمع عن تعدد الزوجات؟ ليكبر الأطفال والفتيان والفتيات ويشتد عودهم، ويعيش غيرهم من الكبار، وهم ينظرون إلى تعدد الزوجات على أنه فكرة مدمرة للأسرة، وغير صالحة للحياة، وأنها إنما هي للطائشين من الرجال والنساء، والضالين منهم والمنحرفين.

فلقد تحدث المشهد الذي ذكرنا عن واقع عائلي، ليس للواقع المعلوم عند المشاهد العربي فيه أي أصل، لا من حيث طريقة الاجتماع لتناول الطعام، ولا من حيث ترتيب الأوعية على الطاولة، ولا من حيث ديكور المنْزل، ولا من حيث سلوك أفراد العائلة، حتى ولا من حيث كيفية تزيّن الزوجة ومظهرها وزيّها في بيتها، والأحاديث المتكلفة المتداولة بين الأبناء وأبويهم، ولا من حيث أي شيء، وكأنهم يتحدثون عن أناس من كوكب آخر...

فكم هي نسبة أولئك الأزواج المدراء في البلاد العربية، الذين لهم نفس القصة ولهم نفس السكرتيرات الجميلات اللاتي خُلقن في أماكن أعمالهم دون إرادهم، وكم هم أولئك المدراء الذين لديهم الميل إلى الزواج والافتتان بسكرتيراهم، حيث اتخذوا طريق العفاف فتزوجوهن، ومن أي مجتمع قدم أولئك السكرتيرات، اللاتي يظهرن في أماكن أعمالهن، بكل تلك الفتنة والزينة، وبكل ذلك التبرج، وكم أعدادهن، وهن غير متزوجات شرطًا؟

ثم إن كان المدراء قد اختاروا لأنفسهم سكرتيرات كأولئك، في غاية الجمال، يعني ذلك أن كل المدراء في جميع الدوائر في البلاد العربية غير جادين وغير منضبطين ويسعون إلى الفساد؟ حيث أن اختيارهم لفتيات بنفس الكيفية أصلاً اختيار للفسق وليس للعمل الجاد، فكم هي أعداد تلك الشركات؟ وكم أعداد أولئك المدراء؟ الذين يجلسون على رؤوس أهرام شركاهم، ويبددون أوقاهم وأعمالهم في الغزل واللعب، ومداعبة النساء؟

وإظهار السكرتيرة الموظفة بتلك الحال يعني أن كل النساء العربيات يتصفون بصفات تلك السكرتيرة في جمالها وبهائها وتبرجها، وتغنجها، ويقوم المدير معها حتمًا بعلاقة عشق وغرام، ثم زواج؟ ثم طلاق، لأنها في نهاية المطاف امرأة لعوب وغير سوية، وخطافة للرجال؟...

فهل هذه هي الصورة الحقيقية لبنية المجتمعات العربية؟

لا بأس من هذه القصة، لو وجدنا المخرجين ينقلون صورًا حقيقية وواقعية ومتنوعة من المجتمعات العربية، ثم يقومون بإنتاج قصة كهذه، كونها ربما قد تكون قد حدثت يومًا ما في صورتها الشاذة هذه التي ظهرت فيها.

وباستطاعة المخرج أو كاتب القصة أن يجعل الزواج بزوجة أخرى أمرًا حميدًا، كما تفننوا في مشهدنا التلفزيوني بجعله أمرًا مذمومًا، ألم يكن ذلك باستطاعتهم؟ فلماذا أرادوه ن يكون أمرًا مذمومًا؟ أليس هذا هو فن الأفلام والسينما، التي تستطيع أن تقلب الأمور، فتجعل المجرم هو بطل الفلم، الذي يتعلق به قلب المشاهد، ويتمنى له النصر على أعدائه.

وهكذا الحال مع هذه المشاهد التلفزيونية التي ذكرنا، التي يبدو أن الغرض الذي تخدمه واضحًا، وهو إخراج صورة الزواج بامرأة أخرى جريمة، غذاؤها الأنانية، وحب النفس المجردة، والشهوة، وأبطالها ما بين امرأة طماعة نصابة غير سوية، ورجل مغفل جاهل.

وأن حياة الاستقامة والانضباط هي التمسك بزوجة أبدية واحدة، وأن كل ما خالف ذلك هو ضياع وتيهان، وتبديد للأموال والأبناء، وخفة عقل، ومراهقة متأخرة.

وأن تعدد الزوجات أمر مذموم، بل يجب أن يكون في ذهن المشاهد مذمومًا، لأن فيه ضياع الأبناء وتفرقهم، ومادة انحرافهم للمخدرات أو المسكرات والأمرض النفسية.

ويبدو أن الغرض من هذا المشهد ومثيله، إظهار الزواج بأخرى أمرًا فيه

ظلم وعدوان للزوجة الأولى، وهو مادة المرض لها، وضياع حقوقها وقهرها، ومادة التخلف والانحطاط، وإن لم يكن، فهو أمر يخالف النهضة والرقي للمجتمعات، التي جُلّ شعوبها من النساء.

فهل الرجل يا ترى، الذي تزوج زوجة أخيه المتوفى أو أحد أقاربه لغرض سترهم ورعاية أبنائهم بما يجب، هل ينطبق عليه حال ذلك الرجل في المشهد التلفزيوني؟

وهل الرجل الذي تزوج امرأة قاصرة أو مُسنة، غير نافعة للزواج، يتزوجها لغرض سترها ورعاية أبنائها لا يرجو منها شيئًا، هل يستوي حاله مع حال الرجل الذي ذكرنا؟

وهل الرجل الذي أصبحت زوجته قاصرة عن أن تؤدي له حق السرير أو القصور عن الإنجاب، أو غيره ممن يمتلك من القوة والطاقة ما تعجز زوجته التوافق معه فيها، هل يجوز في حقهم التنقل بين المومسات، حتى لا تكون حالتهم كحالة الرجل الذي ذكرنا؟

وهل الرجل الذي لا تمتلك زوجته أي قدر من التوافق معه في الفكر أو العلم، ولا يستطيع أن يأنس بها أو الجلوس معها والحديث إليها، هل هي نفس الحالة التي ذكرنا؟

وهل الرجل الذي لا تمتلك أو لم تعد تمتلك زوجته من الحسن والجمال ما يحقق له الكفاية أو العفاف، هل تنطبق عليه نفس الأحكام؟

وهل الرجل الذي لم تعد زوجته قادرة على القيام بالعناية به، لأي سبب

من الأسباب، هل هو نفس حالة هذا الرجل في المشهد التلفزيوني؟

وهل الرجل الذي يقوم بالزواج بزوجة ثانية، لا بد له أن يضيع أبناءه، ويهجر زوجته الأولى؟ كما في المشهد.

وهل تعدد الزوجات، ذو التاريخ القديم، قد تمخض عن مجتمعات كلها ذات أهو اء منحرفة؟ أو أنه هو السبب الذي صنع من المجتمعات العربية أو غيرها مجتمعات متخلفة، ومتفككة، ومشتتة الأزواج والأبناء؟ أو أننا لم نعرف التخلف والتردي والانحراف الاجتماعي، إلا من بعد أن تركنا أمورًا عديدة منها تعدد الزوجات؟

فلماذا إذن لا يأتي التلفزيون بمثل حالات كهذه التي ذكرت، وهي التي يعيش بها الناس، وهي التي تحاكي الواقع في حقيقتها، وتتحدث عنه، ولماذا لا تأخذ في عرض هذه الصور للمشاهد وتحاكيه بها، حتى يتم تصحيح الأخطاء التي قد تحدث عند الناس، في تطبيق هذه العادات وهذه التقاليد وهذه الأعراف، فيكون من خلال ذلك الإصلاح والتقويم للمجتمعات؟

فلماذا إذن تحاول هذه المشاهد التلفزيوينة أن تخدم أفكارًا معينة بقوة؟ وتريد أن تفرض لها قواعد معينة في ذهن المشاهد أو المشاهدة؟ ولماذا تحاول أن توظف كل اللقطات التصويرية لتبرز فكرها تلك غير الواقعية؟. ما هي مصلحة الكاتب من هذا الأمر، وما هي مصلحة المخرج؟ إن كانت قصتهم هذه لا تحاكي الواقع، وليس لها حقيقة في سرده؟ ماذا يريدون أن يصلوا به إذًا إلى عقل المشاهد، هل يُراد بهذه المشاهد الإصلاح، ومعالجة

المشاكل الاجتماعية؟ إن كان كذلك، فلماذا يعرضون في الجانب الآخر مشاهد تلفزيونية غربية أو شرقية، يُظهرون فيها الحرية الشخصية المطلقة مظهر البطل في الفيلم، التي يعشق فيها الرجل زوجة جاره، أو زوجة أخيه، أو عدة فتيات يتنقل بينهن، ويمارس معهن الجنس جميعًا، ويبدوالرجل في هذه الحالة هو بطل الفيلم الذي تعشقه المشاهدات، وتصفق له أيدي المشاهدين الرجال.

هل بهذه المشاهد وبهذه الأفلام يريد أن يعالج الكتّاب والمخرجون المشاكل الاجتماعية أو الاقتصادية؟ ألا تقوم هذه الأفلام بالتشكيك بصحة معتقدات المشاهد؟ وإظهارها أنها غير صالحة؟ وأنها تظلم الناس والنساء خاصة؟ وهل يقف المشاهد من هذه الأفلام موقف الرضى والقبول بها؟ ويبتلع أفكارها فتسير في دمه وهو يعلم، أو لا يعلم؟

أليست هذه المشاهد في باطنها دعوة إلى البغاء والسفور والفجور؟ لأن الرجل الذي يكون في حاجة إلى امرأة أخرى، ولا يستطيع كبت هذه الحاجة، فإنه سيجد أن قيامه بالزواج بأخرى أمر إجرامي، مرفوض من المجتمع الذي حوله، ولن يقبله منه أحد، فما هي يا ترى الحلول التي وضعها المخرج للرجل في هذه الحالات؟ وكذا الحال مع المرأة التي لا تجد زوجًا، وهي في حاجة غريزية للرجل والرعاية، فأي سبل وضع المخرج للنساء في هذه الحالات ليسلكوها؟ هل أترك جواب هذا السؤال للقارئ ليجيبه بنفسه؟

طبيعي أن المشاهد لا يستطيع أن يقف موقف القبول أو الرفض مما يرى أو يسمع، إذا لم يكن له رأي يتبعه، فيقيس على أساسه، ويقبل أو يرفض، ويمدح أو يذم، ويرضى أو يستنكر. فإذا كان ساخطًا، أو ذامًا، أو مستنكرًا، فسيقتصر ذلك على نفسه هو، أو على من يحاول أن يبين لهم ما يراه هو سُخطًا أو منكرًا، أو غير صحيح. وإذا لم يكن كذلك، فسوف يجلس أمام التلفزيون يُسلِم قلبه وعقله له، فيتلقى منه سامعًا مطيعًا راضيًا بما يمليه عليه.

إلا أننا وبعد كل هذه المشاهد، لم يتعرض الكاتب أو المخرج إلى سؤال يهمنا هنا وهو، لماذا يقوم الرجل بالزواج بامرأة أخرى، أو لماذا يرى الرجل في تعدد الزوجات مبتغى ضروري له، ويرى فيه صحته، وتوافقه مع ما يحبه ويهواه؟ ولماذا لا يتوافق ذلك مع هوى المرأة غالبًا؟ ولماذا لا يقدر الرجل مسايرة هوى المرأة في رفضها للتعدد فيمتنع عنه، وهل إن سايرها في تجنب التعدد كان ذلك خيرًا لهما؟ أم تجنب التعدد خير للمرأة دون الرجل؟.



الدوافع التي تدفع الرجل للتعدد

لربما يكون هذا السؤال هو المحور الذي يدور حوله الكتاب وكل أحاديثنا، ولربما هو بعينه السؤال الذي لم يجد له جوابًا، بين جميع المتسائلين والمهتمين من الرجال والنساء، على حد السواء، ويكاد يكون هو السؤال الذي لم يرد من قبل في أي كتاب آخر، وما قد ورد في الكتب عند الحديث عن تعدد الزوجات هو الحديث عن الأحكام الشرعية بصدد التعدد، وكيفية العدل بين الأزواج، والحديث عن بعض الحقوق للزوجين، وسيل من النصائح للزوج والزوجة... هذه الكتب هي التي انطلقت من مبدأ التقيد بأحكام الله سبحانه وتعالى، وأن هذا حكم الله في الناس، وأنه يجب القبول به... وإلى آخر ما يصب فيه الحديث من هذا المنطلق العقائدي.

وهناك كتب تحاول أن تناقش تعدد الزوجات من منطلق فلسفي، محاولة فيها إيجاد العلة التي أتى من أجلها حكم التعدد، وهذا انحراف منهجي، فليس هناك علة لهذا الأمر، والعلة هي التي من أجلها أتى الحكم، أي كما يقولون إن العلة من التعدد هي إذا كانت الزوجة لا تنجب، أو كانت لا تقدر على ممارسة الجماع، أو إلا إذا كان هناك موافقة مسبقة من الزوجة، أو ما شابه هذه الفلسفات التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي يختلف الرأي فيها بين جميع الناس.. وأنه إذا غابت إحدى هذه العلل انتفى الحكم، وبالتالي انتفى حق الرجل في التعدد.

وكتبٌ وكتّاب آخرون، تحدثوا عن الموضوع من منطلق عقائدي غير إسلامي، وقاموا بفلسفة تعدد الزوجات، ونزلوا بكل قواهم يسفهون

فكرته ويُنقصونه، ويعتبرونه من التخلف والرجعية، وأن تعدد الزوجات مثار المشاكل الاجتماعية العربية كلها، وأنها فكرة بليدة، وجنسية، وأحيانًا غير أخلاقية، ثم اعتبروا علاقة الأزواج في الحياة، التي لا تحكمها الأعراف والتقاليد الإسلامية التي تتبرأ من التعدد، هي الحياة الصحيحة، والحياة الغربية عند هؤلاء هي الحياة التي تصل إلى حدّ المثالية، واستشهدوا بقصص من الخيال، وأخرى من واقع بعض فئات من المجتمعات العربية، ليثبتوا صحة فكرهم، بأن تعدد الزوجات شيء إجرامي أو شيء آخر من هذا القبيل.

ولكني هنا أناقش الموضوع بعيدًا عن هذه المنطلقات، وساتخذ منهجًا تحليليًا لعقلية الرجل ونفسيته، وحاجاته العضوية، ومواقفه الفكرية والاجتماعية، التي ينطلق منها ليقوم بالتعدد، لمعرفة ما هي الدوافع التي تدفعه حقيقة للتعدد، وكما ذكرنا فإن التعدد لا يقتصر على الرجل المسلم، الذي يتيح له نظامه أن يقوم بالتعدد في إطار قانوني، بل يتعداه إلى الرجل غير المسلم، الذي يقوم بما يفوق التعدد في إطار الحرية الشخصية.

على أي حال، فإن هناك ثلاث منطلقات رئيسية، تنطلق منها الدوافع، وهي كالتالي:

- المنطلق الأول : الدوافع الشخصية
- المنطلق الثاني : الزوجة الجديدة
- المنطلق الثالث: الدوافع الاجتماعية

▪ المنطلق الأول: الدوافع الشخصية

- **الميل الشخصي للتعدد**، دون دوافع أخرى، أي بدون وجود أسباب: لنعد إلى مجالس الرجال التي قد نقلنا منها ومن أحاديثهم ما يتحدثون فيه بكل صراحة ووضوح، فهم لا تجد فيهم المُستنكر لهذا الأمر، أو الناظر إليه نظرة شاذة أو منكرة، حتى الرجال الغربيون لا يستنكرونه، بل ويمارسونه بالكيفية التي تعجبهم، ويرونه طبيعيًا حتى في ظل الحكومات التي تمنعه، ولذا فإن الرجال جميعهم يجمعون على الرضى والقبول وإستحسان التعدد، حتى ولو لم يفعلوه. وبذا يتبين لدينا أن هذا الموقف من التعدد عند الرجال، إنما يدل على أكثر من كون التعدد رغبة مجردة، يقوم بها البعض أو يمتنع عنها البعض الآخر، وأكثر من كون الرجال يجدون متعة في الحديث عنه، بل التعدد هو نتيجة لميل طبيعي عند الرجل للارتباط بواحدة وأكثر، هذا الميل ينطلق من غريزة النوع، شأنه شأن ما عند المرأة، إلا أن الرجل عنده نزعة غريزية للتكاثر، هي أقوى بمراحل مما عند المرأة، مما قد يفسر ميله الطبيعي هذا للزواج بواحدة أو أكثر، ولا نقول إلا أن هذا مما قدره الله في خلقه، ولله في خلقه شؤون.

- **حب النساء المجرد**: وحب الارتباط بهن، هذا الميل يختص به بعض الرجال ولا تجده عند غيرهم، وهو زيادة عن الميل لحب المال، وأكثر منه عن الميل لحب العقار أو المراكب، أو غيرها من حاجيات الدنيا ومتعها.

- **الحاجة العضوية**: وهو تمتع أحدهم بالقوة الجنسية الفائقة، التي قد نسميها بالفحولة، مما لا تتحقق لديه الكفاية في زوجة واحدة.

- **الحاجة النفسية**: عند نسبة كبيرة من الرجال، تكاد تكون عند سبعين في المائة منهم، حاجة عاطفية جياشة إلى الجانب العاطفي عند المرأة، هذا الجانب قد لا يأبه له كثير من النساء، وكثيرًا ما لا يجده الرجل عند زوجته لأي سبب من الأسباب، كأن تكون الزوجة في الأصل لا تحب أن تتعامل مع زوجها بهذه الكيفية العاطفية، أو تكون لا تحسن التعامل بهذه الطريقة، أو تكون الزوجة عندها من الأطفال عددٌ يشغلها عن أمر كهذا، أو أنها تحسن التعامل بهذه الطريقة، ولكنها لا تحسن تنظيم أوقاتها، أو أن المرأة تظن أنها تقدِّم لزوجها ما يكفيه من العاطفة، وهو لم يحصل منها ما يكفيه مطلقًا، أو تكون المشكلة في الزوج، أنه ذو عاطفة أكثر من غيره من الرجال، مما لا يحقق عنده من العفاف ما يكفيه من زوجته أو من زوجة واحدة فقط.

- **الحاجة الشخصية**: وهي حاجة الرجل لعناية ورعاية إضافية خاصة، بملبسه ومأكله ومشربه ومظهره، وحاجته لأجواء الراحة والهدوء والاسترخاء، في بيته وبين أبنائه، وخاصة إن كان من أصحاب الأعمال والتكاليف المجهدة.

قد تقول المرأة العاملة إن هذا ليس عدلاً، فهي كذلك في حاجة إلى من

يهتم بها ومن يرعاها، ويقدم لها الأكل والشرب، والحصول على قدر من الاسترخاء والراحة، شأنها شأن الرجل.

لا نقول للمرأة لا، الرجل هو الشخص المقدس وهي خلاف ذلك، ولكننا في هذا الكتاب لا نعالج مشاكل خاصة بين زوجين، وكيف نجد لهما الحل المناسب، ولكننا نتحدث هنا عن الدوافع التي تدفع الرجل للزواج.

بل إن عمل المرأة قد يكون من المؤثرات التي تعزز ميل الرجل للتعدد، لتلبية حاجاته الشخصية، وحاجات أخرى ممن ذكرنا.

- **الميل إلى التجديد**: لا أقول تجديد الزوجة، ولكن تجديد الحياة، وهو ميل الرجل لأن يصنع نوعًا من الإثارة والتجديد في حياته، ومع نفسه، ويخرج عن النظام الرتيب في بيته، ويشعر بعالم أكبر مما يجده في بيت واحد، وعند عائلة واحدة. وإني أرى هذا الميل ميل غريزي إلى حد كبير.

- **تكثير الأبناء**: وهو دافع قوي عند بعضهم، وأقل قوة عند البعض الآخر، ولكنه أحد الدوافع الهامة لتعدد الزوجات.

- **الميل إلى توسيع آفاق سلطان الرجل**: وهذا كذلك ميل غريزي، يشبع فيه الرجل حاجته لأن يكون له سلطان أكبر مما هو على عائلة واحدة، أو زوجة واحدة، وعدد قليل من الأبناء. وفيها يجد الرجل متعة هو دائماً في حاجة إليها، وتخاطب حاجة في نفسه.

- **الحاجة الفكرية:** إن من الرجال كثير ممن يحبون أن تشاركهم زوجاتهم همومهم وخططهم المستقبلية، ويحبون أن تشاركهم النقاشات العلمية والثقافية، ويجدون عند الزوجة العلم والثقافة والحكمة وبالتالي النصيحة، وكذا المشاركة الوجدانية لكل ما يقومون به، وخاصة من الرجال الناهين أو أصحاب الحكمة، وذوي الطاقات العالية، والعاملين في مجالات النهضة.

ولذا فإن أمثال هؤلاء الرجال غالبًا ما لا يكفي طموحاتهم وتطلعاتهم وحاجاتهم الفكرية والثقافية امرأة واحدة، أو جانب واحد من العلاقة المقتصرة على الاجتماع وإنجاب الأبناء، وإشباع البطون، وتلبية الحاجيات من ملبس وما شابهه.

- **تغطية العيوب الشخصية:** قد يكون هذا دافعًا لبعض الرجال الضعفاء شخصيًا أو اجتماعيًا أو ماديًا، للارتباط بامرأة أخرى قوية الشخصية، يشعر إلى جانبها بالأمان والقوة.

أو يكون أحدهم ممن هم من نفس النوع من الأشخاص الضعفاء الذين ذكرنا، وعنده زوجة متفوقة عنه اجتماعيًا أو ماديًا أو ثقافيًا. قد يضيق ذرعًا بحاله أمامها، فيندفع إلى الارتباط بامرأة تحاكي مستواه الاجتماعي والشخصي وتواضع حاله.

ومثل هذه الحالات كثير، أوردت منها نماذج فقط لمعرفة التصور.

- **البحث عن التوازن:** نجد هذه المشكلة عند كل الأزواج تقريبًا، وذلك

أنه غالبًا ما تبقى الصورة الأولى للزوج عالقة في ذهن الزوجة عند زواجه بها، وهو في بداية أعماله الوظيفية وفي سن الشباب، وغالبًا ما يحقق هذا الشاب نجاحات كثيرة في حياته، وتطورًا فكريًا أو ثقافيًا أو علميًا على مدار السنين، إلا أن الزوجة غالبًا ما يفوتها تغيير تصورها عن زوجها المتطور، الذي يصبح في حاجة إلى احترام وهيبة من نوع جديد، كالتي يجدها عند نظرائه، فإن لم يجده عند زوجته يندفع للزواج ليجد من الاحترام والهيبة ما لا يجده عند زوجته، فيحقق له ذلك من التوازن ما يحتاجه.

- **أخطاء الزوجات**: أخطاء الزوجات بشكل عام كثيرة، وهي من أقوى الدوافع للرجل للتعدد، أهم هذه الأخطاء وأبرزها "الإهمال"، ويحدث الإهمال في جوانب الحياة الزوجية، في مسائل حساسة جدًا ومؤثرة، كالإهمال التي تقوم به الزوجة بمظهرها وبقوامها، وإهمالها لزينتها، أو إهمالها الاهتمام بزوجها، وقلة الوقت الذي تسخره له... وكون المرأة تلعب دور الصديق والأخت والأم والراعي النفسي، إضافة إلى كونها زوجة، فمواضع الاهتمام المسؤولة عنها الزوجة تجاه زوجها كثيرة، والتقصير في هذه الجوانب يربك حياة الزوج، وتضطرب أوضاعه النفسية واستقراره.

ومن الأخطاء، الإهمال في تربية الأبناء وعدم كفاءة الزوجة في الاهتمام بالأبناء، وسوء تربيتها لهم جسديًا وخُلقيًا.

ومن الأخطاء العظيمة كذلك، التي تقوم بها الزوجة وتدفع بها زوجها

للتعدد دفعًا، إذا كانت سيئة الخُلُق وتتعامل معه تعاملاً شريرًا، أو تعاملاً نكدًا، كالتي تتصيد أخطاءه، أو تعامل الزوجة القائم على التكبر والتعالي والفوقية، والتعامل القائم على التحدي والمكابرة والمنافسة، ومحاولة الزوجة الانتصار على الزوج في الرأي والمواقف، ومن ذلك كثير.

ومن الأخطاء الشائعة التي يقوم بها جُلُّ النساء، هو عندما لا ترى الزوجة في زوجها إلا أنه بنك مالي متحرك، أو شخص لم يُوجد على أرض الواقع إلا لخدمتها وأبنائها، ولشراء أغراض البيت، ورمي النفايات، وتلبية كل طلب يخطر ببالها، وبضغطة زر واحدة.

فكل هذه أخطاء يراها الرجل ويشتكي منها عادة، ويصرح بها لزوجته، ويجادل من أجلها كثيرًا، بل ويحذر زوجتة منها، فإن لم يجد زوجته تستجيب لملاحظاته وشكواه، تصبح شكواه فيما بعد معاناة يبحث لها عن مخرج، يهرب فيه بنفسه إليه، أقرب ما يكون، إن استطاع، زوجة أخرى تفهمه ولا يجد عندها تلك الأخطاء.

- **أسباب سياسية اجتماعية:** كثير من الحكام والقادة السياسيين تاريخيًا وحاليًا، يقومون بالزواج من نساء من أقوام آخرين، من باب خلق روابط نسب ومصاهرة، تخدم فيما تخدم الأغراض السياسية.

- **أسباب أخرى شاذة:** كالنصب والإحتيال وما شابهه، وإني لا أميل إلى ذكر هذه الدوافع، ولكن عندما سألت بعضهم، أكد لي أن لهذه الدوافع

واقع حقيقي، في ظل الواقع الاقتصادي المتدني، والواقع الفكري المتخلف، أن يقوم بعضهم بالنصب على النساء الأغنياء والاحتيال عليهن، وأخذ مأربهم منهن ثم هجرهن... أرجو أن يكون هذا الدافع من ضرب الخيال، وليس له واقع حقيقي.

- **التنقل الكثير بين البلدان:** يدفع الرجال أصحاب الأعمال الكثيرة، والتي تتطلب منهم أسفارًا كثيرة وإقامات طويلة بعيدة عن زوجاتهن، يدفعهم غالبًا للتزوج من البلدان التي يرتحلون إليها.

- **دوافع شخصية أخرى فردية غير شائعة:** من منطلق الدوافع الشخصية، قد نجد كثيرين ممن يذكرون دوافع خاصة بهم، غير التي ذكرنا، ونحن لا نذكر هنا إلا ما قد شاع من دوافع معلومة للجميع، ولا تقع في إطار النوادر، أو غير المعتاد، ولكن حتمًا هناك دوافع خاصة كثيرة.

▪ المنطلق الثاني: الزوجة الثانية أو الثالثة أو الرابعة

وهو المنطلق الذي يندفع من خلاله الرجل بالزواج متعددًا، أي أسبابه تكون هي الزوجة الجديدة، ثانية كانت أو ثالثة أو رابعة...

ومن هذه الدوافع:

- **المال** : نقطة ضعف رجال كثيرين، والمال من الدوافع التي تغري الرجال بالتسابق على المرأة، كانت ذات جمال وحُسن، أو لو لم تكن، المهم أن تكون ذات غِنى تكفي الرجل حاجته وقلة حيلته، وترفع عنه نوائب الدهر، وخاصة في الأوضاع الاقتصادية السيئة.

- **الحُسن والجمال** : هذه نقطة ضعف أكثر الرجال، فالمرأة هي سفيرة الزينة والمتعة، وكل المرأة زينة، فما بالك أن تكون هي أفضل الزينة وأحسنها، وهي السبب الذي لا يجد الرجل قوة على رده، أو رفضه، ولذلك فهو من أقوى الدوافع التي يقف وراءها تعدد الزوجات.

- **الحسب والنسب**: أحد الدوافع التي يجدها الرجال الأقوياء خاصة، مثيرة عند المرأة لأن يستقوي بها، وبأهلها، ويشعر بالفخر والعزة بالارتباط بها، وبمصاهرة أهلها، وخاصة إن لم تكن له زوجة ذات حسب أو نسب.

- **الدين**: بالرغم من تراجع فكرة الارتباط بزوجة ذات إيمان قوي، إلا أن

هذا عند كثير من الرجال، حتى عند بعض الفاسقين منهم لا زال من أقوى المطالب، التي تعتمر قلوب الرجال وأمنياهم.

- **المراة النجيبة:** قد تكون الرغبة في الحصول على أبناء نجباء، من أهم المطالب عند كثير من العقلاء من الرجال، وهو دافع لهم للزواج. وقد تُعرف المرأة النجيبة من خلال نسبها الطيب، أو من خلال أهلها ذوي الأصلاب القوية. وقد ترتبط بهذه الفكرة أيضًا فكرة تحسين النسل وما شابهه، كدافع للتعدد.

- **الحُب والعشق:** إن منْزلق الحب منْزلق قوي ومحبب لدى الرجل، بل ويرى فيه متعة وإثارة وجاذبية، ويأخذ بتلابيبه إلى الزواج وهو مستبشر وهائم، وهو دافع قوي من ضمن الدوافع الأخرى التي ذكرنا.

- **المرأة المثقفة أو الذكية أو المتعلمة أو الحكيمة:** لم أصنف هذه الصفات تحت الحسب، لأن لها شأن خاص بها، فكثير من الرجال من تدفعه تلك الصفات أو إحداها للزواج متعددًا، بل إن بعضهم من يسعى للحصول على زوجة بهذه الصفات لافتقاره لصاحبة تغطي عنده حاجة في نفسه، لا يشبع هذه الحاجة زوجته الأولى أو زوجاته الأخريات.

▪ المنطلق الثالث: الدوافع الاجتماعية

من هذا المنطلق، نجد في مجتمعاتنا العربية صورًا كثيرة للتعدد، منطلقة من جانب اجتماعي كريم، ومليء بالرحمة والترابط، ولا يمكن إنكار هذا الجانب أو رفضه أو اعتباره مذمومًا، بل هو محمود بكل المقاييس، ومن هذا المنطلق، نذكر الصور التالية:

- المحافظة على الروابط الاجتماعية: هذا الواقع نجده في كثير من العوائل والقبائل، وأحيانًا بين الجيران، أن يقوم أحدهم بالزواج من أرملة أخيه أو أرملة ابن عمه أو جاره، التي تعول عددًا من الأبناء، فيقومون بالزواج منهن للمحافظة على ستر الأرامل، والمحافظة على الأبناء في آنٍ واحد، وكذا بالروابط الاجتماعية.

- المحافظة على الزوجة الأولى والعائلة والأبناء، عند حصول الخلافات المؤدية للطلاق، بعدم اتخاذ إجراء الطلاق، وإنما يقوم الرجل بالزواج بأخرى للمحافظة على كيان الأسرة من التفكك، عسى أن تزول الخلافات مع مرور الوقت، ويجد الرجل شيئا من الراحة، وربما الزوجة كذلك.

- العادات والتقاليد: إن في بعض المجتمعات العربية وغير العربية، بعضها متمدن وبعضها غير متمدن، بالرغم من الزخم الإعلامي المناهض لفكرة

تعدد الزوجات، فلا زال عرف التعدد عندهم قائمًا، ولا يزالون يرون تعدد الزوجات أمرًا طبيعيًا، ويسلكونه كأي فعل من الأفعال الأخرى، لا يجدون فيه حرجًا، وليس كما هو الحاصل الآن عند أكثر المجتمعات المتأثرة بالإعلام، والذي بالرغم من سماح النظام به، جعل أمر التعدد عندهم فكرة غير طبيعية ومتخلفة.

- **الزواج لتحقيق القيم الرفيعة:** القيمة الروحية والإنسانية والأخلاقية، وهذا يحدث في مواقف كثيرة، كالذي يتزوج لأن امرأته أصبحت غير قادرة على تكاليف الزوجية لمرض أو ما شابهه، ولا يستحسِن طلاقها في الوقت الذي تكون هي في حاجة إليه. أو يكون أحدهم قد تزوج بامرأة تكبر عنه في السن كثيرًا وبينهما مودة ورحمة وحب، فتعجز وما زال هو شابًا، فيُبقي عليها ويقوم على رعايتها ويتزوج إليها بأخرى.

أو كمن يطلق زوجته ثم يتزوج بأخرى، ثم يصطلحان، فتعود الزوجة إليه بعد أن تزوج بغيرها.

أو كالذي لم يرَ توافقًا بينه وبين ابنة عمه أو قريبته بعد أن تزوجها، ولكن حفاظًا على الترابط العائلي بين أهله وأهلها لا يطلقها، لئلا يسيء إليها وإلى أهلها، وحتى لا يتسبب في الشقاق العائلي الذي قد يحدث بسبب الطلاق.

أو كالذي يتزوج بامرأة مسنة ذات بنات يحتجن إلى رعاية، وليس عندهن من يعولهن، فيقوم بالزواج بها لغرض رعايتها وبناتها، وأما بعضهم فيقوم

بالزواج بإحدى بناتها، ويبقى على رعايتهن جميعهن، وفي كلاهما تحقيق لكل القيم المباركة.

أو يتزوج بامرأة عاجزة حتى يقوم بتكاليف رعايتها، لا يرجو من ذلك إلا سترها، وليس ما يرجوه الرجل من المرأة عادة.

- **أسباب اجتماعية أخرى فردية**: وهي كثيرة وعديدة الجوانب، لا نستطيع حصرها هنا، وهي مما يتعلق بظروف معينة بين الناس، وليست شائعة بين كل الناس، وعند كل الرجال والنساء. أمثلة على ذلك، عدم التوافق الوراثي بين الزوجين وإنجاب أبناء معاقين، أو رغبة الرجل في الحصول على أبناء أو بنات، لم يتمكن من الحصول على أحدهم من الزوجة الأولى... وغير هذه الأمثلة الفردية كثير.

▪ لا بد أن يجتمع عند الرجل عدة دوافع:

هذه مجمل الدوافع من هذه المنطلقات التي تدفع الرجل للتعدد، إلا أننا يجب أن نذكر هنا، أن الرغبة في التعدد لا يقف وراءها دافع واحد، أو اثنان أو ثلاثة، فلا بد أن يجتمع للرغبة في التعدد عند الرجل عدة دوافع، مجتمعة في آن واحد، على رأسها الدافع الفطري.

وتخطئ المرأة عادة في الظن، وهذا شائع جدًا، عندما تظن أن سبب توجه زوجها للتعدد منطلق من عيب فيها، أو تقصير من جانبها في أداء حق الزوج عليها، ولكن كما ذكرنا يجب أن تتوفر عدة دوافع، وأقدرها تقديرًا شخصيًا بما لا يقل عن سبعة دوافع، تقل أو تكثر، وذلك حتى يتم عند الرجل القناعة بالتعدد، والقرار والإرادة له.

أما الظن أن الزوج يقوم بالتعدد لسوء في خُلُقه كالاتصاف بالأنانية أو البطر، أو ما شابه ذلك، أو أن الرجل زوج سيء الفعل، كنكرانه للجميل تجاه زوجته، أو أن قيامه بالتعدد برهانٌ على كرهه لزوجته، أو إسرافٌ منه، أو ما شابه هذه الظنون، ففي الحقيقة وبالتأكيد فإن قرار التعدد لا يقوم على مسائل كهذه مطلقًا، إلا ما شذَّ، والشذوذ ليس له واقع للحُكم على الأشياء.

ومن ذهب بظنه أن التعدد متعة وهوى، وتقلب بين أحضان النساء، فقد جانب الصواب، وأخطأ، فالتعدد في حد ذاته مسؤولية عظيمة إضافة إلى

مسؤوليات الزوج يحملها على عاتقه، فهو يقوم برعاية لزوجة وأبناء آخرين، إضافة إلى زوجته وأبنائه، ويتحمل مسؤولية تربيتهم وتعليمهم، والصرف عليهم، وأعباء أخرى كثيرة.

بل إني أرى الرجل الذي يقوم بالتعدد شخص جاد ومستقيم، ولوكان دافعه الهوى، لوجد من طرق الهوى المفتوحة على مصراعيها الكثير بثمن بخس، أقل تكلفة وعناء من توجهه للزواج، وأقل عبئًا وأهون مسؤولية، وله فيه حرية الخيار والاختيار والتنقل.

ولذا فإن الرجل الذي يتخذ قرار التعدد، رجل لا يُورد نفسه وأهله مهالك الآثام الشرعية والأخلاقية، فضلاً عن المهالك الصحية، بل إنه يحميهم من الانحراف الخلقي والسلوكي، وهو يُري أبناءه وأهله وباقي الناس الطريقة الصحيحة للحياة العادلة المستقيمة، بعيدًا عن دعاوى الفجور والبغاء التي تنصبّ على قلوب الناس وعقولهم في الإعلام صبًا.

بل إني أجد الرجل الذي يقوم بالتعدد رجل قوي، ومكافح، ورجل عنده من الاستعداد لتحمل المشاق والأتعاب الشيء الكثير، الذي يميزه عن غيره من الرجال.

ماذا تفعل المرأة عندما يتزوج زوجها؟

▪ لن أقول للزوجة:

لقد حان الآن موعد شد الحزام، وحان تجهيز أسلحة القتال والهجوم، وعليكِ الآن أن لا تستسلمي لهذه الجريمة النكراء، فلقد مُسّت كرامتك، ولقد اعتدى زوجك على هيبتك وعزتك بين الناس، فمثلك لا يُفعل به فعل مشين كهذا، فأنتِ بنتِ الرجال الأبطال، وأنتِ ليس لك بين النساء مثيل، وأنتِ لا تستحقين فعلاً قبيحًا كهذا، فمَن هذه التي تزوجها زوجك، إنها لا تفوق منْزلتها منْزلتك.. لذا فإن عليك أن تعدي العدة للوقوف في وجه زوجك، كاللبوة الجائعة في أرض قفار، لأنك لو قبلتِ بهذا الأمر، فستفقدين هيبتك، وسيتطاول عليك زوجك، وستتطاول عليك النساء الأخريات، بالشماتة والتحقير.

لذا فإن عليكِ أولاً أن تفضحي فعله هذا عند كل الناس، وتبيني لهم أنه رجل أناني، نكار للمعروف، نكار للخير الذي رآه على يديك، ولا بأس أن تتهميه أنه استغل طيبتك وأخذ من أموالك، فاستعان بها على زواجه بغيرك.

ثم فإن عليكِ أن تهدديه وتتوعديه فورًا، أن يقلع عما قام به، ويطلق زوجته الجديدة، وإن لم يفعل ما تأمريه به، فأخيفيه بترك منْزله وأولاده، وإن لم يستجب، فلا تقبلي بهذا الظلم الذي وقع عليك، واتركي البيت، وأوقعيه في مأزق تربية الأبناء بنفسه، حتى يعود إلى صوابه.

أو أن تكوني أشد مكرًا به، فتبقين في بيتك، ولكن لا تدعي له يومًا واحدًا

يرتاح فيه، وأنكدي عليه عيشه، وألحّي عليه في قيامه وقعوده تطليق زوجته، لأن " الزّنّ أقوى من السحر" كما يقال، حتى يعلم عواقب فعله هذا.

ثم يجب أن تنتقمي لنفسك منه في أي شيء، فإن كان لك مال عنده أو كنت تشاركيه في تجارة أو أملاك، فأفسدي عليه تجارته وأملاكه، واسحبي أموالك منه حتى لا يصرفها على زوجته الجديدة وأبنائه فيما بعد.

أو إن لم يكن لك أموال عنده، فاعملي على أن لا يجمع شيئًا منها أو يدخرها، وقومي بأعمال من شأنها استنْزاف ما يملك من أموال، كتبذيرها أو صرفها بكيفية غير منضبطة.

ثم لا تنسي الانتقام من زوجته الجديدة، التي هي في الأصل السبب أنها قبلت الزواج به، وهي تعلم أنه متزوج، ولم تراعي حرمة غيرها، ولم تراعي مشاعرك.

- ولن أقول للزوجة الجديدة:

هذه فرصتك الآن، هذا رجل فرَّطت فيه زوجته الأولى، وهو يبحث عن السعادة وستجدينه مندفعًا، فعليك أن تتخذي شتى أساليب المكر والحيل، واستفيدي من اندفاعه هذا لأن تنسيه زوجته الأولى، وأريه شتى أنواع التعامل الحسن حتى يرى الفرق، فيبقى لا يرى السعادة إلا في عينيك وفي رضاك، فيصرف عليك من ماله بدون حساب، لأن الرجال يُفتنون

ويهيمون عادة بحب الزوجات إن أحبوهم، فاستأثري به لنفسك، وتمتعي ما استطعت، فماله إن لم يصرفه عليك، فسيصرفه على زوجته الأولى وأبنائه.

وإن من هذه النصائح التي تسمعها الزوجة الأولى والزوجة الثانية من غيرهن من النساء الشريرات، أو من الأفكار التي تخطر في بالهن كثير، ولا تنتهي، وإنها للأسف أفكار أصبح لها واقع عند بعضهم، وقد تكاد تكون شائعة أيامنا هذه، وكأن الأمر كما يصوره البعض من النساء، أنه جريمة يقوم بها الزوج في حق زوجته الضحية.

قد تكون المرأة في الحديث عن التعدد معنية أكثر من الرجل، كون فعل التعدد في ظاهره تعدي على حق المرأة، وأن المرأة في هذا الصدد هي السلعة التي تُشترى أو تباع، أو أنها هي التي تقف وراء ظلم زوجها، أو أنها تكون بخلاف ذلك هي المظلومة، وهي التي تقع ضحية جريمة الزوج وأهوائه، ولذا تجد الحديث عن التعدد منصب على الزوجة الأولى فقط، وكأن القضية برمتها هي الزوجة الأولى.

وفي الحقيقة لا يصح أن ينطلق البحث من هذه الأفكار، لأن لو تم ذلك، إذن لوجب أن نتحدث عن مجرم وضحية، وليس عن واقع خَلْقي واجتماعي وإنساني وأخلاقي وروحي، كما بينا في الدوافع التي تدفع الزوج للتعدد.

▪ المرأة هي الضحية:

أما الحديث جدلاً عن المرأة، واعتبارها الضحية لأهواء الرجال وميولهم الغريزية، فهو خطاب مغرض، لأن المرأة لا يمكن أن تكون ضحية إلا إذا ترتب على زواج الرجل بغيرها موهًا أو قتلها، أو على الأقل انتقاص أو سلب حقوقها، أو انتزاع أبنائها منها، أو أكل مالها، أما مجرد زواج الرجل بغيرها، فليس فيه ضرر عليها، ولا على أبنائها أو حياتها، ولا تصبح بأي حال من الأحوال ضحية.

أما إن وجدنا أحدهم مصرًّا على القول إن المرأة ضحية، أو يصورها ضحية كما في المشهد التلفزيوني فهذا شأنه، ويريد هو أن يصورها كذلك لحاجة في نفسه وكفى.

ولكني أقول هنا إن الأمر يبقى في الأول والآخر في يد المرأة، إن أرادت أن تعتبر نفسها ضحية، فلها ذلك، ولكنها ستتحمل تبعات هذا الموقف، الذي يجرُّ وراءه مرضها النفسي والتصادم مع الزوج، وحصول المشاكل التي لا يُعلم مداها من الأنكاد والأحزان، واضطراب الجو العائلي ونفسيات الأبناء، والكراهية، أو حتى إلى الانفصال.

أو إن أرادت المرأة أن لا تعتبر نفسها ضحية، وأن تتفهم هذا الأمر، وتعتبره يسير مسارًا طبيعيًا، من الناحية الغريزية ابتداءً، ومن الناحية الاجتماعية، وأنها لن تفقد شيئًا من هذا الواقع، فكما تزوجها زوجها، وقد كانت امرأة غريبة عنه، فهو يقوم بنفس الأمر مع امرأة غريبة عنه غيرها،

فالرجل لا يكون مِلْكًا خاصًا بها لمجرد التزوج به، وهو حكر على الزوجة، فتقوم تقاتله، وتقاتل غيرها من أجل حيازته كأنه سلعة، وإرجاعه إلى حظيرتها.

ولذا فإن المرأة ستزيل الحواجز التصادمية مع زوجها، حينما تقفز من فوق "عقدة الضحية"، عندها تسير الأمور سيرًا طبيعيًا معه، ولكننا هنا لا نغمض أعيننا عن أن هذا الأمر أمر يستجد في مسار حياة المرأة الزوجية، ويحتاج في الحقيقة من المرأة إعادة ترتيب أوراقها نفسيًا واجتماعيًا، فغدًا سيكون أبناء إخوة لأبنائها، وغدًا سيكون تنظيم للوقت جديد، وحتمًا إحساس جديد بنوع من الغيرة.

إلا أن ترتيب الأوراق هذا في حاجة إلى بعض من الوقت، وإلى تغيير طريقة التفكير، ليس عند المرأة فحسب، ولكن كذلك عند الرجل، ويجب أن يعالج الموضوع من كلا الزوجين معالجة حكيمة، فتقوم الزوجة كما قلنا، وهذا الأهم، بتغيير طريقة التفكير عندها، وتأخذ جانب الرفق والتلطف بنفسها وبزوجها وبأبنائها، وأن تعلم أن مقاييس التعدد لا تقوم على أنقاضها، أو أنها هي المتسببة فيه، وليس هو عقاب لها، أو سوء أو كارثة أقدمت عليها، أو من هذه الأفكار غير الصحيحة.

لأن المرأة لو اتخذت طريقًا خلاف ما قلت هنا، فهي ستتوجه حتمًا إلى التصادم مع زوجها، لأن ليس وراء العناد والتعنت إلا سبيل التفرق والانشقاق، ولن ينفعها ذلك شيئًا، بل بُعد النظر وكسب المواقف، يجب أن يكون هو السائد في تعقلها.

وقد يقوم بعض النساء بالصراخ والشتائم والتهديد والوعيد للزوج، أو ترك البيت والأبناء، وما إلى آخر هذه الأنكاد، ولكن لو فعلت المرأة ذلك، وأعلنت ثورتها أو غضبها، هل تظن أنها بهذه الكيفية ستحل مشكلتها؟ أو ستنال من زوجها نيلاً يقلع على إثره عن عزيمته أو ما قام به؟ بالتأكيد إنه ظن خاطئ، بل إن التفاعل الحسن والكلمة الطيبة مع الزوج، هي الدواء الناجع، وهو بلسم الجروح للطرفين، وهو الموقف الطيب الذي لن يُنسى.

وكقول إحداهن: إن كان زوجًا طيبًا وتزوج بغيرنا، فسيزيد نفعه للناس، وسنشتاق له أكثر عند غيابه، وإن كان رجلاً سيئ المعشر، انشغل بنفسه، وتخلصنا منه لبعض الأيام.

أما نحن فنقول إن النساء يجب أن يدركن بأن يجعلن هذا الأمر طبيعيًا، بل هو طبيعي، وأن المرأة لا يصح أن تشغل نفسها كثيرًا بما هو خارج دارها والدائرة التي تعيش بها، وتوجه تركيزها واهتمامها في غياب زوجها إلى الاهتمام بنفسها وأبنائها، فهي قد حصلت الآن على وقت أكثر، وفرصة أوسع، لأن تقوم بتطوير نفسها وعلمها وثقافتها ودراستها، التي قد تكون حُرمت منها لضيق وقتها بتواجد زوجها اليومي في المنْزل، أي أن على المرأة أن تستخلص لنفسها جميع الجوانب الإيجابية، من خلال انصراف الزوج قليلاً عنها، وستجد أن ما حصل، إنما قد صبَّ في مصلحتها أكثر مما صبَّ في مصلحة زوجها، الذي ازداد أعباء فوق أعبائه، وأتعابًا فوق أتعابه.

أما إذا أشغلت المرأة نفسها بما هو خارج الدائرة التي تعيش فيها، فهي حتمًا ستبدد طاقتها وستضيع وقتها وجهدها فيما لا ينفعها، بل يضرها ويضر نفسيتها، وبالتالي تضر الجو العائلي، والتوازن الطبيعي في البيت.

وقد يهم المرأة أن تعرف الفروق الخَلْقية بينها وبين الرجل، والطبيعة التي خلقه الله عليها، حيث أن الميل الغريزي عند المرأة يختلف جذريًا عن طبيعة الميل الغريزي للرجل، فميلها ذو نزعة تميل إلى الزواج والارتباط، والتمسك بحياتها الزوجية والمحافظة على أبنائها وبيتها، بشكل أقوى من الرجل الذي يُعمل عقله عادة في هذه القضايا، وشيئًا من العاطفة، فهي إذن تُعمل عاطفتها أكثر بكثير من العقل، ولذلك نجدها أكثر تمسكًا وأكثر ارتباطا، وهي تجد العفاف كاملاً والكفاية والرضى في الحياة الزوجية المستقرة، وهذا مما قدره الله لها في خلقها.

وربما يصعب على المرأة فهم تصرف الزوج في هذه العلاقة، لأنها لم تعِ طبيعة خلقه، وخاصة حينما ترى نفسها كاملة غير مُنقصة لواجباتها ومسؤولياتها تجاهه وتجاه بيته وأبنائه.

توجُّه الزوج إلى التعدد ورغبته فيه، يتطلب من الزوجة الأولى في الحقيقة موقف الاستعداد للتعامل مع هذا الواقع بحكمة، وللتعايش مع الواقع، وخاصة في ظل هذا العصر ذي الهوية الضائعة، الذي رجعت فيه فكرة التعدد الشرعي إلى الوراء، وأصبحت منكرًا، وأصبح اعتبار التعدد غير الشرعي أقل منكرًا منه، بل ليس به شيء يُنكر.

وقد يكون مناسبًا أن نجيب على بعض الجمعيات التي تناهض فكرة التعدد في البلاد الإسلامية وطبيعة التعدد الاجتماعية فيها، على سؤال جدلي يطلقونه، وهو : لماذا يعدد الرجال ولا يسمح للنساء بالتعدد.

▪ تعدد المرأة للرجال:

أما الحديث عن المرأة وإمكانية تعددها للرجال، فهو حديث افتراضي واعتباطي، وفي حقيقته يخرج عن الطبيعة البشرية والسُّنة الكونية التي نظمها الله للمخلوقات، ولم يكن له واقع فعلي منذ أيام سيدنا آدم عليه السلام حتى يومنا هذا، فهو في طبيعته مخالف للفطرة، ولا يقبل به النساء أصلاً في بلاد المسلمين أو بلاد غير المسلمين، ولا يرتضيه الرجال على أزواجهم في الشرق أو في الغرب، وليس هو بالأمر المستساغ بأي حال من الأحوال لأي من الطرفين، إلا في حكم البغاء، ولذلك بقي هذا الأمر شذوذًا في البشر، ولا مكان له هنا في أحاديثنا، ونرد قوله على أصحابه.

▪ همس في أذن الزوجـة:

ربما قد حصلت المرأة على كثير من الفوائد من خلال قراءتها لما سبق، وأظنها على علم أن بيدها الشيء الكثير لفعل شيء كثير، في سبيل حياة سعيدة، في ظل زوج لديه زوجة أو زوجات أخريات، أو ليس لديه غيرها.

- التركيز على السعادة:

أي أن الأصل في أي مسألة من مسائل الزواج، يجب أن يتم التركيز فيها من الزوجة على سعادتها، وكيفية صناعة حياة زوجية سعيدة، وليس الأصل في الزواج التفكير في المسائل المادية أو المسائل الاجتماعية، أو فيما هو خارج دائرة الزوجين كوحدة عائلية منفردة.

أما إذا انصرف تفكير المرأة عن هذا الأصل، وجعلت المشاكل وحياة الصراع مع الزوج، وجعلت المسائل التي من شأنها إثارة المتاعب وصناعة الأنكاد معه هي الأصل، فإنها إذن لن تحتاج لأن يتزوج زوجها بغيرها، أو أن يكون له زوجة أخرى، لأن الأصل عندها في أفكارها هي إثارة المتاعب والأنكاد، فيكون الخلل إذن في فكر المرأة وليس في فعل الزوج أيًّا كان وضعه.

- **احتواء الزوج**:

ولنعد قليلاً إلى الأسباب التي تدفع الزوج إلى التعدد، والتي منها ما يخص الزوجة الأولى، والذي على رأسه فشل الزوجة في احتواء زوجها، ولقد ذكرنا على رأس ما ذكرنا كعنصر أساسي "الإهمال"، إهمال الزوجة لزوجها، وإهمالها لنفسها وأدبها وعلمها وثقاقتها، وإهمالها لأبنائها ولتربيتهم، لذا فإن من الهمس الطيب الذي أهمسه في أذن الزوجة، أن يكون هاجسها الوحيد دائمًا هو احتواء الزوج، وإن خير دليل على احتوائها له عندما تجده يلتصق بها وبالبيت والأبناء، وعندما تراه يجد راحته وهناءه بمقامه في بيته، لا يحب تركه ولا يطيق البعد عنه، فإن فعل خلاف ذلك، فغالبًا ما يكون هناك خلل في احتوائه.

أما ما هي الأمور التي تجعل الزوجة تستطيع احتواء زوجها، هو عندما تصب جل اهتمامها في رعاية نفسها ومظهرها وثقافتها وأبنائها، ورعاية زوجها وبيتها بما هم أهل له.

وكذلك عندما تكون الزوجة هي الأخت والأم والصديق والصدر الحنون للزوج، وليست الند له، وليست صاحبة القيادة والتصرف، والأمر والنهي في البيت وفي زوجها.

- الرجل طفل كبير:

وقد يكون بعضهم محقًا عندما قال إن الرجل طفل كبير، فهو يرضى بالقليل، ويسعده طيب الكلام وحلوه، ويأخذ بتلابيب عقله التعامل الحسن، ويسعده رد السيئة بالحسنة، والتجاوز عن خطاياه، والرضى بما يقدم، والهدية والشكر الجزيل له ولأفعاله.

أما إذا انصرفت الزوجة بنفسها وبهواها إلى ما في يد زوجها، وإلى مالِه، فإن ذلك مما لا يخفى على الزوج، وهو مما يحسه فيؤذيه، فيشعر أن قيمته واحترامه مقيدة بديناره ودرهمه، وأنه إذا فقدهما تبدلت أحواله وتبدل حالها معه، وأنها إن وجدت من هو أكثر منه مالاً فستصرف وجهها إليه. أو على أقل تقدير أنها تُشعر الزوج أنها لا تحفظه في ماله، والعبرة بسعادتها تكمن في صرف المال وتبذيره، وليس في سعادته وإسعاده.

على العموم فإن مقاييس العلاقة الزوجية عند المرأة، يجب أن تكون منضبطة ومركزة على نجاح الحياة الزوجية، وليس على المصالح والمنافع المتأتية من خلال الحياة الزوجية، فلا ينصرف الاهتمام عن ما هو مهم وأساسي، وقام عليه ارتباط الزوجين، إلى القشور التي لا تنفع.

وعلى هذا الأساس فإن أدت المرأة ما عليها من حقوق وواجبات، إتجاه نفسها وزوجها وأبنائها، وعلى الرغم من ذلك أقدم زوجها على الزواج من غيرها، فلا نقول إلا أن هناك حتمًا دوافع أخرى عند الزوج دفعته للزواج، ليس للزوجة الأولى شأن بها.

وفي هذه الحالة أعود فأذكر بما ذكرته من المواقف الحكيمة التي على المرأة أن تتخذها، حين تصب تفكيرها وتركزه على نفسها وحياتها الزوجية وسعادتها مع زوجها، أيًّا كان وضعه وأفعاله، وستكون حتمًا هي الرابح في نهاية المطاف.

ماذا على الرجل فعله عندما يعزم على الزواج بأخرى ؟

▪ لن أقول للزوج:

حتى تقبل بك المرأة التي تخطبها، عليك أن تكذب عليها، مدعيًا أنك تعيش حياة الجحيم مع زوجتك الأولى، وأن زوجتك امرأة لا تكافئك، وأنك صابر عليها طوال السنين كرمًا منك وتحلّمًا، أو أنها مريضة، أو أنها بلهاء، أو.. أو.. أو..

لا داعي لأن تكون شجاعًا، ولا حاجة لأن تبلّغ زوجتك بأنك ستتزوج بأخرى، حتى لا تغضب وتنكد عليك حياتك، وتُفقدك بهجة الزواج الجديد.

يجب عليك أن تخطط لحياكة الكثير من الخطط والتدابير، قبل أن تبدأ بفكرة الزواج، حتى تتمكن من الانزواء عن زوجتك الأولى، وذهابك للزوجة الجديدة بالخفاء.

يجب أن تتعلم فن الكذب وحياكة الأكاذيب، فتلفق لنفسك وظيفة معقولة أمام زوجتك الأولى، غرضها التذرع بالغياب عن المنْزل يومًا بعد يوم.

أبلغ الجميع أنك مسافر، واذهب فتزوج خفية، حتى تقضي شهر العسل.

أو لا داعي أن تبلغ أحدًا بهذا الأمر، حتى ولو أنجبت بعضًا من الأبناء، صحيح أنك ستحرم أبناءك التعرف على بعضهم البعض، وعلى بناء أواصر أخوة طبيعية شرعية، ولكن لا بأس من ذلك، حتى لا تُغضب زوجتك الأولى.

يجب أن تجد من يعينك فيكذب معك، لأنك في حاجة لأن تقوم بسلسلة من الأكاذيب لحياكة الكثير من الخطط، حتى لا تقع في مأزق انكشاف جريمتك!، أكاذيب ليس لها غرض إلا إخفاء الزواج الآخر.

لقد أصبح لهذه النصائح واقع فعلي بين الناس، وكل ذلك له دلالة على سخف عقول بعضهم، وضعف مواقفهم، وشعورهم بأن الحق هو باطل، وأن الباطل هو حق، ولذلك فإننا أصبحنا نرى صورًا اجتماعية غريبة على سلوك الإنسان السوي، وغريبة على طبيعة تعدد الزوجات والحياة الاجتماعية، وعلى سلوك الرجل كرجل عاقل.

فمن أراد الزواج بأخرى فليدع هذه السخافات، وهذه الانحرافات السلوكية، وإن كان يظن أن التعدد أمر غير صحيح، وأنه فعل إجرامي، فليدعه وينصرف إلى غيره، ويوفر على نفسه وغيره الارتباك والاضطراب.

وهناك فرق شاسع بين رجل قام بالتعدد، وهو يعلم يقينًا الدوافع التي دفعته إليه، وبين رجل آخر لا يعرف لماذا قام بالتعدد، أو لماذا يريد القيام به.

– فما أهمية أن يعلم الرجل الدوافع التي تدفعه إلى التعدد؟

إن لمعرفة الدوافع أهمية قصوى، فالرجل الذي يقوم بالتعدد وهو يعلم مبتغاه منه، ويعلم مآل الزواج ويعلم الغاية منه، ويكون صاحب رؤية واضحة، تجده رجلاً صاحب عقل ورأي وحكمة، وتجده رجلاً قادرًا على

التعدد، وصادقًا في عزيمته، ومحافظًا على كيانه، وتجده أكثر تحملاً للمسؤولية، وعلى كل ما يترتب على هذا الأمر.

أكثر من هذا الرجل فضلاً وصلاحًا وكرمًا، هو الرجل الذي يبتغي من التعدد غاية أو غايات شريفة ورفيعة، أي في تعدده غاية لا تقتصر على هواه الشخصي، بل تتعداها إلى أكثر من ذلك، كالغاية التي تتحقق فيها القيم الأخلاقية أو الإنسانية للمجتمع المحيط به.

وأكثر من هؤلاء الرجال عقلاً وحكمة وثباتًا، وحفاظًا على الحقوق، هم الرجال الذين يقومون بتحقيق القيم التي ذكرنا، من منطلق عقيدة راسخة وإيمان بالله، وليس تحقيقًا للقيم من منطلق هوى، كالرياء والسمعة مثلاً، أو مصلحة خفية.

أما الرجال الذين يقومون بالتعدد دون علمهم بالدوافع التي دفعتهم أو تدفعهم للتعدد، فإننا لا ندينهم هنا، لأنهم قد يكون قسم منهم يعلم الدوافع شعورًا، ولكن لا يعرف كيف يصرِّح بها، أو يعرف أن يصرح ببعضها، لربما لأن هؤلاء الفئة لم تشغل نفسها يومًا بوضع النقاط على الحروف، فيعرفون بالتحديد ما يريدون من هذه الحياة مما لا يريدونه، ولذلك قد تجد عند هؤلاء بعض التذبذب وضعف الشخصية.

والبعض الآخر منهم لا تجد عنده أي علم، أو سابق فكرة عن عزيمتهم وإرادتهم للتعدد، ولكنهم يقومون به لمجرد العادة وتكثير الأزواج والأبناء، دون ضابط أو نظام لحياتهم الشخصية أو لعلاقتهم الزوجية، أو لحياة

أبنائهم وحاضرهم أو مستقبلهم، وينجبون من الأبناء والبنات العديد ممن لا قيمة لهم أو وزن في العائلة أو المجتمع أو الأمة، أي كمجرد مخلوقات تعيش لتأكل فتنام، فتعيش حتى يأتيها الموت، دون تميّز في تربية أو رعاية أو تنشئة أو علم أو تطوير.

وأقل عقلاً من هؤلاء، الذين لا يعطون العلاقة الزوجية حقها، من الحميمية والرحمة والعدل تجاه الزوجة أو الزوجات، ويتعاملون معهن كسلعة ممتعة ومسلية، ويظنون أن الزوجة تختلف عنهم في حاجتها إلى الاهتمام والرعاية، وحاجتها إلى الخُلُق والتعامل الحسن، فكما أن الزوج ينظر بعين الحاجة إلى أن تكون الزوجة هي الصاحبة والأخت والأم والحضن الحنون، فالزوجة لا تختلف عن الرجل مطلقًا في حاجتها، أن يكون الزوج هو العوض عن الأب والأم والأخ والأخت، وهو الصديق الوفي والصدر الرحيم، والمربي الحليم، والولي الحميم.

والأقل عقلاً من هؤلاء كلهم من الرجال، الذين لا تجد عندهم هذه ولا تلك، ويتعاملون مع التعدد بدون مراعاة قيم إنسانية أو أخلاقية أو روحية، ولكن من منطلق شهوة مجردة، وللتنقّل بين أحضان النساء، وتنوعهن، ثم فراقهن وطلاقهن أو إهمالهن.

وقد تكون الأنظمة القائمة في العالم العربي سببًا رئيسًا لانحرافات كثيرة من الرجال، بسبب إعطاء الرجل من الحق ما لم تعطه للمرأة، فلا شيء يحول دون ظلمها وقهرها وسلب حقوقها، فتبقى المراة تحت رحمة أنصاف

الرجال، لا تجد من تتظلم إليه منه إن ظلمها، وإن وجدت، فهي لا تستطيع التحرك بين جموع الرجال في دور القضاء، وإن استطاعت، فهي لا تعرف أساليب الدعاوى القضائية، وخاصة إن لم تجد قضاء عدلاً وخصمًا عادلاً، أو بالتأكيد لا تعرف التعامل مع الانحرافات الإدارية كالرشاوى مثلاً.

ولذا فإن هذه الأوضاع، تُبقي المرأة دائمًا وقيمتها وموقفها ضعيفًا في كافة المجتمع، وتدعم موقف الرجل، الذي كثيرًا ما يتشدق بحقه الشرعي في التعدد، ويسيء استخدام هذا الحق، إساءة بعيدة عن الدين والأخلاق والإنسانية، ناهيك عن صنع عرفٍ عامٍ للنظر إلى المرأة كأنموذج جنسي متنقل، وليس كعضو بناء اجتماعي، ودوْلي فعال.

ولكن هل الزواج أو التعدد يسير بغير انضباط وغير شروط، وهو خارج دائرة السيطرة والمراقبة، وهو يبيح للزوج كل شيء على الإطلاق، ويحرم الزوجة من كل شيء على الإطلاق، أو يميل إلى صف الرجل دون المرأة؟

وإذا أردنا أن نكون منصفين، فالحقيقة تتحدث بهذا الواقع، والرجل عنده كل شيء ويحق له كل شيء، والمرأة محرومة من أكثر حقوقها، ولكني هنا أتحدث عن الواقع، وليس مما رسمه الإسلام في حقوق الزوجين، ومما فرضه في إطار العلاقة والحياة الاجتماعية بين الزوجين، داخل البيت وخارجه، ناهيك عن التعدد.

فلا يتشدق رجل بالتعدد، ويرغب فيه، وهو في الأصل لم يؤد الحقوق

الزوجية التي عليه كاملة لزوجته الأولى، ولا يتشدق آخر بالتعدد وهو قد أضر بزوجته وظلمها وأساء تعاملها، وأساء تربية أبنائه، وضيع الحقوق التي طلبها الله منه تحقيقها في زوجه وأبنائه ,

ولا يتشدق رجل بالتعدد ويعزم عليه وهو في الأصل سيء الخلق، سيء المعشر، دنيء الطباع، خبيث، أو بخيل، أو جشع، أو ما شابه تلك الصفات، والعياذ بالله.

فالتعدد يتطلب رجلاً يقوم بالتعدد من باب الرجولة والالتزام والانضباط، وطلب الستر والنهضة بالمجتمع، ومراقبة رضى الله وإتقاء غضبه سبحانه وتعالى، دون إنكار الهوى الفطري والجنسي، وليس التعدد هو الإفراط في النساء واستخدامهن، والعبث بالعلاقة بهن، وليس التعدد لأنصاف الرجال، الذين يعتدون على حرمات النساء، ويظلمون، ويعبثون.

▪ همس في أذن الرجل:

- المرأة كائن طيب :

قد يظن رجل أن الحل للمعاناة التي يعانيها مع زوجته لأمر ما، قد يظن أن لا حل في الحصول على الراحة والاستقرار في حياته إلا عندما يتزوج غيرها، هذا الظن في الغالب هو ظن خاطئ، فالمرأة في حد ذاتها طيبة القلب، تبحث من أعماقها عن الاستقرار والراحة في ظل زوجها وأبنائها، حتى ولو لم تُبد ذلك، وطلب العفاف عندها عميق وذو شجون، وهو الذي يفسِّر ميلها العميق إلى الإحسان، وفعل كل شيء طيب من شأنه أن يحافظ على كيان حياتها الزوجية، إلا أنها إن لم تجد رجلاً يقدم لها ما تحتاجه من عطف ورحمة وعدل، وما تنشده من تسامح وصبر وسعة صدر، فإنها ستتصرف بارتباك وخوف ودفاع عن النفس بشكل طبيعي، تجاوبًا مع المعاملة الشريرة التي تجدها من الرجل.

ولذلك فإني أؤكد أن المرأة ذات عطاء عظيم، وخير كثير، فإن وجدت من يستطيع استخراج كل هذه الصفات الطيبة من داخلها، فهي ستكون مثالاً طيبًا للعطاء والخير، والعكس بالعكس.

- المرأة كائن ضعيف :

كل الكائنات ضعيفة، ولكننا نخصص هنا ضعفها مقارنة مع الرجل، وذلك في فهم بعض الجوانب من الحياة، وإدارة الحياة الزوجية، وإدارة العلاقات مع أهله وأهلها، وفهم بعض الجوانب الجنسية، وبعض جوانب الزينة التي يحبها الزوج، وضعف حيلتها في كيفية احتواء الزوج بالألفاظ المحببة، والتعاملات اللينة، وضعف حيلتها في معرفة كيفية التغلب على المصاعب النفسية، في مراحل حياتها الزوجية، كمصاعب الوحدة، وطول فترات غياب زوجها، وزيادة تكاليف أعمال البيت وتربية الأبناء، وما شابه كل تلك المصاعب.

فلذلك يجب أن يعي الرجل كل هذه المصاعب التي تواجه الزوجة، وهي مصاعب تحتاج أن يكون الرجل فيها زوجًا رحيمًا، ومعلمًا صبورًا، ومتسامحًا، ويعلم أن ما تقصر فيه الزوجة ينم غالبًا عن جهل، وليس عن سوء وأذى، وليس ما تعانيه زوجته من تقصير، ذريعة له للذهاب والتزوج بغيرها، لذلك فإن على الزوج أن يصلح داره ليزداد مقداره.

ولذلك فإن التعدد ليس غرضه ترقيع الثوب البالي، أو تغطية القاذورات بغطاء حرير. ولا يصح أن ينطلق من ذريعة يتذرعها الرجل، ولكن يجب أن ينطلق من منطلق العقل والتعقل، والإحسان، والإرادة الفعلية.

- المرأة كائن ذكي :

إن الإنسان بشكل عام مخلوق ذكي، ويتفاوت ذكاء المرأة والرجل من شخص لآخر، إلا أن المرأة يميزها عن الرجل وضوح رؤيتها، وبساطة طلباتها من الحياة، حيث يقودها هذا الوضوح في الرؤية والطلب، إلى أن تضبط طريقة تفكيرها، وتحدد إتجاه أفعالها في إتجاه معين، مما يسخر كافة طاقاتها لحاجاتها، ويجعلها تبدوأكثر دقة وأعمق تركيزًا وأوسع أفقًا، فيقوي ذلك من حيلتها، ويكشف لها مواضع المكر وكيفيته.

والمرأة ليس كما يظن الرجل، أنها أقل ذكاءً منه أو أقل عقلاً، أو أقل فطنة، بل إنها لا تختلف عن الرجل في شيء، إلا ما علمه الله سبحانه وتعالى، بل إنها تتفوق عن أقرانها من الرجال، إن وجدت من ينمّي نشاطها الذهني ويغذّي فكرها، ويوجّه طاقتها للإنتاج والنهضة، أما إن عوملت معاملة قاصرة، على أساس أنها جاهلة أو ناقصة أو قاصر، وهذا كثير الحصول، فإنها حتمًا ستوضع في قالب خانق، يكبت كل المقدرات الذهنية عندها ويقيدها، ويجعلها غير منتجة، وتبدو في هذه الأثناء بليدة وقليلة الحيلة، فينعكس ذلك حتمًا على التعامل مع الزوج وعلى تربية الأبناء، الذي قد يعتبره بعضهم ذريعة للزواج بأخرى.

- المرأة طاقة عظمى :

غالبًا ما تمتلك المرأة طاقة للعمل والإنتاج والتحمل أكثر من الرجل، وذلك له تفسير عضوي من جانب، كما يقول الطب، وتفسير عاطفي من جانب آخر، أما التفسير العاطفي، فمصدره أن المرأة تضحي انطلاقًا من عاطفتها بكل ما تملك، من أجل ما تحب وتهوى من أجل نفسها وأبنائها، ومن أجل زوجها وحياتها الزوجية، والسعادة التي تنشدها.

أما العاطفة فهي لا تدفع الرجل إلى شيء، بل عقله هو الذي يسيِّره لتحقيق مصالحه، ومصالحه هي المطلب الأعلى له، ولذلك لا تجده مندفعًا لتحقيق شيء، بل يتروى ويتريث ويتردد، ويقيس الأمور أكثر، فتنحسر طاقته، وقد تتبدد وهو لم يُقدم على الأعمال، ولم يضحّ بشيء، المهم أن المصلحة تتحقق، دون إشراك العاطفة فيها.

ولذلك نجد المرأة أكثر إقدامًا وإنجازًا وحماسًا، وأكثر طاقة من الرجل في أكثر الأحيان، بل وتجدها أكثر حماسًا وقوةً عندما تكون سعيدة مع زوجها، وعندما تجد زوجًا يستحق كل البذل والتضحية، أو تجد زوجًا ذكيًا يعرف كيف يستخرج طاقاتها ويسخرها ويستحثها، ولا يقمع مواهبها.

وإني أجده قولاً حقًا بأن خلف كل رجل عظيم امرأة، قد تكون زوجته، أو قد تكون أمه أو أخته أو أي امرأة حكيمة ربته، فلا يتذرع الرجل بذريعة أن زوجته غبية، أو ليست قادرة على فهمه، أو ما شابه هذه الذرائع، فإن

كانت المرأة كذلك، فهي حتمًا صنيعهُ هو، وهو المسؤول عن ذلك، وليس للمرأة في هذا إلا مسؤولية محدودة.

فإما أن يصنع الرجل لنفسه زوجة تكون له سندًا وقوة، أو يصنع منها هيكلاً للسرير والإنجاب فقط.

ولذلك لا يصح أن يكون الزواج بأخرى هروبًا، بعد الفشل في بناء حياة زوجية قويمة، وظلم للزوجة الأولى، أو من باب الترف والعبث، أو من منطلق الإفساد في الأرض، بل يجب أن يكون الزواج أيًا كان أولاً أو تاليًا، زواجًا عادلاً يُراد به الخير، ويُتجافى به الشر، ويُعمل به على الستر وحفظ الأعراض، وعلى نهضة الأمة اجتماعيًا وتربويًا، وأذكّر الزوج كثيرًا بأن عليه استخراج كافة طاقات المرأة الرائعة الكامنة، ويحاول توظيفها توظيفًا صحيحًا، وإن فعل فإنه سيجد حياته الزوجية وتربية أبنائه تسير حتمًا سيرًا متميزًا راقيًا، يكفيه مشقة كثير من الأمور، ويصنع له حياة زوجية سعيدة.

رأي الكـاتـب

لقد تعمدت في هذا الكتاب طرح قضية تعدد النساء طرحًا جدليًا، بعيدًا عن أي قاعدة فكرية معينة، كالإسلام، كون أن الإسلام هو الفكر العالمي الوحيد الذي يشرِّع مسألة تعدد الزوجات، ويحرِّم تعدد النساء في إطاره غير القانوني، وبعيدًا عن جميع القواعد الفكرية الأخرى، غير الإسلام، التي تحرم تعدد الزوجات، وتبيح تعدد النساء بكافة أنواعه، وتعتبره قانونيًا، بشرط أن لا يكون اعتداءً.

فلمْ أبْنِ هذا البحث على أساس أحد هذه القواعد الفكرية، وإنما تركته للجدال العقلي، والوجدان الفطري، ومواضع المصلحة، لينظر القارئ في أي جانب عليه أن يوظف طاقاته ويُعمل قناعاته، وينفذ أفعاله، دون تدخل مني في توجيه قرارات القارئ إلى فكرةٍ ما أو أفعالٍ ما، رجلاً كان أم امرأة.

ولكني أرى هنا، أن على القارئ امرأة كان أم رجلاً، أن يتخذ موقفًا جذريًا حيال تعدد النساء أو تعدد الزوجات، موقفًا يتحدد فيه القبول أو الرفض، فإن فعل القارئ ذلك، فإنه سيحافظ على هويته الشخصية من الإزدواجية والتشتت والضياع، فيكون صاحب موقف، يُسيّر حياته بحسبه فيريح ويستريح، أما إن كان غير عارف أو عالم أي موقف عليه أن يتخذ، فسيبقى متذبذبًا، لا ينتمي لهؤلاء ولا إلى هؤلاء، وسيعرّض هويته الشخصية إلى التشرذم والضياع والإزدواجية، وحينها لن يعرف كيف يتعامل مع غيره، ولن يعرف غيره كيف يتعامل معه.

وليس هناك إلا أحد منطلقين تنطلق منهما المرأة أو الرجل، ليحددا هويتهما ويحفظَاها من الضياع، فيتحدد قبولهما أو رفضهما لمسألة تعدد النساء:

فإما الانتماء إلى دين الإسلام، فيرضى الرجل وترضى المرأة بما يرضاه الإسلام، وما يقرره عليهما من أوامر أو نواهي، ويصبغا أفكارهما ومواقفهما وحياقمما بهذه الصبغة، ولهما بذلك ما قرره الله تعالى من الجزاء والحساب والأجر.

وإما يقومان بالانتماء إلى غير الإسلام، فيرضيان بما تمليه عليهما القوانين الوضعية من حرية شخصية، وقبول بتعدد النساء، ورفض لتعدد الزوجات في إطار قانوني، وتبقى الحرية هي السائدة بين الفعل والترك، ويكون هناك عدم التزام بتكاليف الارتباط بامرأة أخرى من جهة الرجل، وإرتياح إلى حد ما من جهة المرأة، طالما التزم الرجل تجاهها بعدم تعدد النساء والتنقل بينهم.

إلا أن الواقع يتحدث عن خلاف ما يشتهي المرء، فهؤلاء ممن يمنعهم القانون من تعدد الزوجات، فإن الحرية الشخصية، كما هي في النظام غير الإسلامي، تبيح لهم ما هو أكثر من ذلك، وهو تعدد النساء، وبالتالي تجد الرجال أكثر تعددًا بمراحل، في الدول التي تمنعه في إطار قانوني، من الرجال الذين تبيح بلداهم تعدد الزوجات في إطارها القانوني الشرعي،

وهذا قد فتح بابًا واسعًا للانحرافات السلوكية، والعلاقات الجنسية المجردة من العاطفة والرحمة والارتباط العائلي الجاد، وفتح بابًا واسعًا للعبث بعفاف المرأة وعرضها، ولتجارة النساء، وبيعهن بثمن بخس.

أي أن المرأة في هذا التشريع هي المتضرر الوحيد، وأضرارًا في إنجاب الأبناء وسوء تربيتهم فكريًا واجتماعيًا وأخلاقيًا، فضلاً عن العلاقة الزوجية أو غير الزوجية المجردة من كثير من العاطفة والرحمة والخير.

أما الواقع في البلاد الإسلامية، التي تسمح للقانون الإسلامي الشرعي بتعدد الزوجات، فإن طريقة استخدام هذا الحق الشرعي يتعرض في المجتمعات التي تقوم به لسوء استخدام وسوء تطبيق كبير، من الرجال ومن الأنظمة، بسبب الظلم الذي يقع غالبًا على المرأة، أما ما حَسُن من التعدد، فهو يتعرض إلى عواصف فكرية كثيرة تحاربه، وخاصة من النساء الذين تأثروا بالفكر المحارب لتعدد الزوجات، فقام النساء بعرقلة مسألة التعدد وصعّبوها لرجالهم بالأنكاد والمشاكل، حتى بات كثير من الرجال يخافون زوجاتهم، ويخافون الأنكاد التي تصطحب توجههم للتعدد.

وفي رأيي لو علم النساء عن الخير الذي يأتي به هذا التشريع الإلهي لهم، ولغيرهم من النساء والرجال وللمجتمع، لكانوا هم القائمين على هذا الأمر يدعون إليه، ويعضدونه.

وأرى أنه يكفي على المسلم والمسلمة إن كانت قد آمنت بالله حق الإيمان، القبول والرضى بتعدد الزوجات من منطلق أن هذا أمر الله الخالق البارئ

المشرع، ويكفي على المسلم إن كان قد آمن بالله حق الإيمان أن يقوم بالتعدد ويحقق به القيم الأخلاقية والإنسانية والروحية، وما أمره الله به من العدل والرحمة والمساواة.

أما التعنت في هذا الأمر، وإظهار عدم الرضى وعدم القبول بأمر الله، فهو من الجهل وإتباع الهوى، الذي يهوي بصاحبه في الدنيا والآخرة إلى ما الله أعلم به، وإن المرأة التي تجد في نفسها شيئًا من هذا الفعل ويؤذيها، فإن الصبر والاحتساب له أجره عند الله وثوابه العظيم، وهي بصبرها واحتسابها تعين لنهضة المسلمين، وتحميهم من الفساد والفسوق وضياع الحقوق.

يقول الله سبحانه وتعالى:

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً }

سورة الأحزاب٣٦- آية

{ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً }

سورة النساء- آية ٦٥

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

سورة الروم- آية ٢١

---- انتهى ----



المؤلف في سطور

- كاتب وباحث وطبيب من المدينة المنورة
- دكتوراة في الطب العام من جامعة فيينا بالنمسا عام ١٩٩٢م
- نشاطات متعددة في المجال الصحي، والإدارة الطبية في العديد من المستشفيات الحكومية والخاصة
- دراسات خاصة أدبية وتربوية وسياسية متعددة
- إجازة في الشريعة الإسلامية
- العمل كمدرب واستشاري في تعليم وتطوير القادة
- نشاطات تربوية وفكرية واجتماعية في إطار محاضرات وندوات وبرامج عامة وخاصة بالمدينة المنورة وعدد من الدول

- من إصداراته :

١- لا بد من زوجة أخرى: طبعة أولى: الدار العربية للعلوم، بيروت
طبعة ثانية: شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٦

٢- قلتُ لحماري: شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٦

٣- كتاب رجل وامرأة

٤- كتاب حماري في شوارع نيويورك والعراق

٥- كتاب المرأة السعودية تقود السيارة

٦- سلسلة المعرفة (مدونة) dralturki.blogspot.com

٧- كتاب العقيدة والآداب الإسلامية

٨- كتاب: الإبداع والذكاء وسرعة البديهة

٩- أنا فتاة في السابعة من عمري

١٠- الحب والسعادة والزواج والطلاق

- البريد الإلكتروني : dralturki@hotmail.com



(+2) 01288890065 /(+2) 02 27238004

www.shams-group.net